دَلِيلُ الطَّالِعِ والنَّازِلِ
فِي بَيَانِ حَقِيقَةِ أَعْلى المَنَازِلِ

(مَنَازِلِ) ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ (الفاتحة: ٥)

(بحث محكم)

كَتَبَهُ

الفَقِيرُ إلى عَفْوِ رَبِّهِ البَارِي

عَرَفَةَ بْنَ طَنْطَاوِيّ

عَفَا اللَّهُ عَنْهُ

وَغَفَرَ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِمَشَايِخِهِ وَلِذُرِّيَّتِهِ وَلِلْمُسْلِمِينَ

عَمِيدُ كُلِّيَّةِ أُصُولِ الدِّينِ والدِّرَاسَاتِ الإِسْلَامِيَّةِ

بِجَامِعَةِ خَاتَمِ المُرْسَلِينَ العَالَمِيَّةِ

وَأُسْتَاذُ التَّفْسِيرِ وَعُلُومِ القُرْآنِ لِلدِّرَاسَاتِ العُلْيَا

بِالجَامِعَةِ الإِسْلَامِيَّةِ وَالمَعْهَدِ العَالِي لِلأَئِمَّةِ والخُطَبَاءِ بِمِينِيسُوتَا

وَالرَّئِيسُ العَامُ لِمَرْكَزِ تَأْصِيلِ عُلُومِ التَّنْزِيلِ لِلبُحُوثِ العِلْمِيَّةِ وَالدِّرَاسَاتِ القُرْآنِيَّةِ

١٤٤٣هـ

من إصدارات

https://taaselcenter.com
arafatantawy1440@gmail.com
+966503722153

موسوعة تأصيل علوم التنزيل
(٣٤)

دَلِيلُ الطَّالِعِ والنَّازِلِ
فِي بَيَانِ حَقِيقَةِ أَعْلى المَنَازِلِ

(بحث محكم)

كَتَبَهُ
الفَقِيرُ إلى عَفْوِ رَبِّهِ البَارِي
عرفة بن طنطاوي
عَفَا اللَّهُ عَنْهُ
وَغَفَرَ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِمَشَايِخِهِ وَلِذُرِّيَّتِهِ وَلِلْمُسْلِمِينَ

عَمِيدُ كُلِّيَّةِ أُصُولِ الدِّينِ والدِّرَاسَاتِ الإِسْلامِيَّةِ
بِجَامِعَةِ خَاتَمِ المُرْسَلِينَ العَالَمِيَّةِ
وَأُسْتَاذُ التَّفْسِيرِ وَعُلُومِ القُرْآنِ للدِّرَاسَاتِ العُلْيَا
بالجَامِعَةِ الإِسْلامِيَّةِ وَالمَعْهَدِ العَالِي للأَئِمَّةِ والخُطَبَاءِ بِمِينِيسُوتَا
وَالرَّئِيسُ العَامُ لِمَرْكَزِ تَأْصِيلِ عُلُومِ التَّنْزِيلِ لِلبُحُوثِ العِلْمِيَّةِ وَالدِّرَاسَاتِ القُرْآنِيَّةِ

١٤٤٢ هـ

مجلة البحوث الإسلامية

Journal of Islamic Research

إصدار علمي متخصص جامعي محكم

Scholarly Academic Refereed Bulletin Concerned With Scholarly Research

الرقـــــم: ٨/٤٩٨١
التـــاريخ: ٢/١١/١٤٤٣هـ
المرفقات: --.

إلى من يهمه الأمر

يرجى التكرم بالعلم بأن البحث المقدم من:

الدكتور / عرفة بن طنطاوي. عَمِيدُ كُلِّيَّةِ أُصُولِ الدِّينِ والدِرَاسَاتِ الإِسْلَامِيةِ بِجَامِعَةِ خَاتَمِ المُرْسَلِينَ العَالَمِيَّةِ، وَأُسْتَاذُ التَّفْسِيرِ وَعُلُومِ القُرآنِ للدِّرَاسَاتِ الْعُلْيَا، بالجَامِعَةِ الإِسْلامِيَّةِ والمَعْهَدِ العَالِي للأَئِمَّةِ والخُطَبَاءِ، بـ"مِنِيسُوتَا"، وَالرَّئِيسُ العَامُ لِمَرْكَزِ تَأْصِيلِ عُلُومِ التَنْزِيلِ للبُحُوثِ العِلْمِيةِ وَالدِّرَاسَاتِ القُرآنِيةِ.

وعنوانه: (دَلِيلُ الطَّالِعِ والنَّازِلِ فِي بَيَانِ حَقِيقَةِ أَعْلَى المَنَازِلِ(مَنَازِلِ) ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾(٥: الفاتحة)

قد ورد إلى هيئة الإصدار، وخضع للتحكيم العلمي المتخصص، وأجيز للنشر، وبالله التوفيق، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

مؤسس الإصدار ورئيس تحريره

أ. د. عبد الفتاح محمود إدريس

رقم إيداع المجلة بدار الكتب المصرية (٢٠١٥/٢٤٢٦٠) - الترقيم الدولي الموحد لها: (ISSN. ٢٥٣٦ - ٩٣١٨)

رابط موقع المجلة على الانترنت: journalofislamicresearch.com

رقم المجلة ضمن قائمة الدوريات المفهرسة في قائمة: Islamic Info (٤١٦)

رابط معامل التأثير العربي للمجلة: https://www.arabimpactfactor.com/pages/tafaseljournal.php?id=٨٤٨٧

جمهورية مصر العربية، القاهرة، مساكن مدينة نصر، رمز بريدي ١١٣٧١، ص. ب ٨١٣١

Arab Republic of Egypt- Cairo, Housing of Nasr City, Post code: ١١٣٧١- P.O.Box, ٨١٣١

Tel: ٠٠٢٠٢ / ٢٣٢٧٤٠٢٠ –Mob: ٠٠٢/ ٠١٠٠٣٨٥٠٢٤٧ :Fax: ٠٠٢٠٢ / ٢٣٢٧٤٠٢٠

E-mail :dr.edris@hotmail.com

شبكة الألوكة www.alukah.net

دِيْبَاجَةُ البَحْثِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ، وَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ إِلَهُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، وَقَيُّومُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرَضِينَ وَمَالِكُ يَوْمِ الدِّينِ الَّذِي لَا فَوْزَ إِلَّا فِي طَاعَتِهِ، وَلَا عِزَّ إِلَّا فِي التَّذَلُّلِ لِعَظَمَتِهِ، وَلَا غِنَى إِلَّا فِي الِافْتِقَارِ إِلَى رَحْمَتِهِ، وَلَا هُدًى إِلَّا فِي الِاسْتِهْدَاءِ بِنُورِهِ، وَلَا حَيَاةَ إِلَّا فِي رِضَاهُ، وَلَا نَعِيمَ إِلَّا فِي قُرْبِهِ، وَلَا صَلَاحَ لِلْقَلْبِ وَلَا فَلَاحَ إِلَّا فِي الْإِخْلَاصِ لَهُ وَتَوْحِيدِ حُبِّهِ، الَّذِي إِذَا أُطِيعَ شَكَرَ، وَإِذَا عُصِيَ تَابَ وَغَفَرَ، وَإِذَا دُعِيَ أَجَابَ، وَإِذَا عُومِلَ أَثَابَ.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي شَهِدَتْ لَهُ بِالرُّبُوبِيَّةِ جَمِيعُ مَخْلُوقَاتِهِ، وَأَقَرَّتْ لَهُ بِالْإِلَهِيَّةِ جَمِيعُ مَصْنُوعَاتِهِ، وَشَهِدَتْ بِأَنَّهُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ بِمَا أَوْدَعَهَا مِنْ عَجَائِبِ صَنْعَتِهِ، وَبَدَائِعِ آيَاتِهِ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ عَدَدَ خَلْقِهِ وَرِضَا نَفْسِهِ وَزِنَةَ عَرْشِهِ وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ. وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ، لَا شَرِيكَ لَهُ فِي إِلَهِيَّتِهِ، كَمَا لَا شَرِيكَ لَهُ فِي رُبُوبِيَّتِهِ، وَلَا شَبِيهَ لَهُ فِي ذَاتِهِ وَلَا فِي أَفْعَالِهِ وَلَا فِي صِفَاتِهِ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا، وَسُبْحَانَ اللَّهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا، وَسُبْحَانَ مَنْ سَبَّحَتْ لَهُ السَّمَاوَاتُ وَأَمْلَاكُهَا، وَالنُّجُومُ وَأَفْلَاكُهَا، وَالْأَرْضُ وَسُكَّانُهَا، وَالْبِحَارُ وَحِيتَانُهَا، وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَالْآكَامُ وَالرِّمَالُ، وَكُلُّ رَطْبٍ وَيَابِسٍ وَكُلُّ حَيٍّ وَمَيِّتٍ ﴿**تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا**﴾ (الْإِسْرَاءِ: ٤٤) .

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، كَلِمَةٌ قَامَتْ بِهَا الْأَرْضُ وَالسَّمَاوَاتُ، وَخُلِقَتْ لِأَجْلِهَا جَمِيعُ الْمَخْلُوقَاتِ، وَبِهَا أَرْسَلَ اللَّهُ تَعَالَى رُسُلَهُ، وَأَنْزَلَ كُتُبَهُ، وَشَرَعَ شَرَائِعَهُ، وَلِأَجْلِهَا نُصِبَتِ الْمَوَازِينُ، وَوُضِعَتِ الدَّوَاوِينُ، وَقَامَ سُوقُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَبِهَا انْقَسَمَتِ الْخَلِيقَةُ إِلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْكُفَّارِ وَالْأَبْرَارِ وَالْفُجَّارِ، فَهِيَ مَنْشَأُ الْخَلْقِ وَالْأَمْرِ وَالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ، وَهِيَ الْحَقُّ الَّذِي خُلِقَتْ لَهُ الْخَلِيقَةُ، وَعَنْهَا وَعَنْ حُقُوقِهَا السُّؤَالُ وَالْحِسَابُ، وَعَلَيْهَا يَقَعُ الثَّوَابُ وَالْعِقَابُ، وَعَلَيْهَا نُصِبَتِ الْقِبْلَةُ، وَعَلَيْهَا أُسِّسَتِ الْمِلَّةُ، وَلِأَجْلِهَا جُرِّدَتْ سُيُوفُ الْجِهَادِ، وَهِيَ حَقُّ اللَّهِ عَلَى جَمِيعِ الْعِبَادِ، فَهِيَ كَلِمَةُ الْإِسْلَامِ، وَمِفْتَاحُ دَارِ السَّلَامِ، وَعَنْهَا يُسْأَلُ الْأَوَّلُونَ وَالْآخِرُونَ،

شبكة الألوكة www.alukah.net

فَلَا تَزُولُ قَدَمَا الْعَبْدِ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ مَسْأَلَتَيْنِ: مَاذَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ وَمَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ؟.

فَجَوَابُ الْأُولَى: بِتَحْقِيقِ " لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ " مَعْرِفَةً وَإِقْرَارًا وَعَمَلًا.

وَجَوَابُ الثَّانِيَةِ: بِتَحْقِيقِ " أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ " مَعْرِفَةً وَإِقْرَارًا وَانْقِيَادًا وَطَاعَةً.

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَمِينُهُ عَلَى وَحْيِهِ، وَخِيرَتُهُ مِنْ خَلْقِهِ، وَسَفِيرُهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عِبَادِهِ، الْمَبْعُوثُ بِالدِّينِ الْقَوِيمِ وَالْمَنْهَجِ الْمُسْتَقِيمِ، أَرْسَلَهُ اللَّهُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، وَإِمَامًا لِلْمُتَّقِينَ، وَحُجَّةً عَلَى الْخَلَائِقِ أَجْمَعِينَ. أَرْسَلَهُ عَلَى حِينِ فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ فَهَدَى بِهِ إِلَى أَقْوَمِ الطُّرُقِ وَأَوْضَحِ السُّبُلِ، وَافْتَرَضَ عَلَى الْعِبَادِ طَاعَتَهُ وَتَعْزِيرَهُ وَتَوْقِيرَهُ وَمَحَبَّتَهُ وَالْقِيَامَ بِحُقُوقِهِ، وَسَدَّ دُونَ جَنَّتِهِ الطُّرُقَ، فَلَنْتُفْتَحَ لِأَحَدٍ إِلَّا مِنْ طَرِيقِهِ، فَشَرَحَ لَهُ صَدْرَهُ، وَرَفَعَ لَهُ ذِكْرَهُ، وَوَضَعَ عَنْهُ وِزْرَهُ، وَجَعَلَ الذِّلَّةَ وَالصَّغَارَ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرَهُ. وَكَمَا أَنَّ الذِّلَّةَ مَضْرُوبَةٌ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرَهُ، فَالْعِزَّةُ لِأَهْلِ طَاعَتِهِ وَمُتَابَعَتِهِ،

قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (آلِ عِمْرَانَ: ١٣٩) . وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (الْمُنَافِقُونَ: ٨) . وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ﴾ (مُحَمَّدٍ: ٣٥) وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الْأَنْفَالِ: ٦٤). أَيِ: اللَّهُ وَحْدَهُ كَافِيكَ، وَكَافِي أَتْبَاعَكَ، فَلَا تَحْتَاجُونَ مَعَهُ إِلَى أَحَدٍ. (١)

أما بعد

فإن أعلى مقامات العبودية تقع بين منازل ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (٥: الفاتحة) وهما الكلمتان اللتان يدور عليهما مدار الخلق، وهما مقسومتان بين الخالق العظيم الغني عن جميع المخلوقين من كل وجه، وبين المخلوق الضعيف الفقير إلى ربه الكريم من كل وجه، فـ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ حق الرب، ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ حظ العبد .

فتحقيق: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ يدفع الرياء عن العبد ويجمع له غاية حبه لربه، مقرونًا بغاية الذُّل لعظمته، وتمام الخضوع لسلطانه، وسرعة الاستجابة والانقياد لأمره، وكمال الاستسلام لشرعه.

وَتحقيق: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ يدفع الكبر عن العبد ويجمع له تمام افتقاره إلى ربه مقرونًا بحصر الاستعانة به وحده سبحانه، ويجمع له الاستغناء بربه عن كل أحد، فينعقد في قلبه أنه لا يملك جلب النفع ولا دفع الضر عنه إلا إيَّاه، ويلم شعثه ويجمع له جمعية قلبه على الله وحده ويعدمه الالتفات لغيره من المخلوقين

---

١ – يُنظر: مقدمة: زاد المعاد لابن القيم: (١/٣٦ – ٣٧). زاد المعاد في هدي خير العباد المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت – مكتبة المنار الإسلامية، الكويت الطبعة: السابعة والعشرون, ١٤١٥هـ /١٩٩٤م عدد الأجزاء: ٥.

شبكة الألوكة www.alukah.net

في تحقيق وجلب مصالح الدنيا والدين، ويجمع له حقيقة التوكل على الله مقرونًا بالأخذ بالأسباب، كما أنها يمنعه من الاعتماد على الأسباب، بل يدفعه في الاعتماد على مسببها وخالقها وحده لا شريك له.

وإذا سلك العبدُ أعلى مقامات العبودية وارتقى في منازل ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (٥: الفاتحة) فقد تحققت له الإجابة للهداية لأعظم مطلوب وأجل مرغوب

﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ فإذا هدى إلى ﴿الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ فقد هدى لمعرفة الحق من الباطل وَتَمَيَّز له هذا الصِّرَاطَ واتَّضح ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾

فإذا سلك سبيل هذا الصِّرَاطَ فقد وفق لأعظم وأجلّ صحبة ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ (النساء: ٦٩)، وإذا وفق لأشرف صحبه فقد تحقق له مجانبة ومجافاة شر صحبة وسلوك سبيلها ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ وهذه هي الغاية من وجود العبد في هذا الدار، فإذا تحققت غاية العبد بتحقيق العبودية بجناحي ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (٥: الفاتحة) فإنه يرتقى بها غدًا في أعلى عليين، في دار المقامة – دار القرار– مع عباد الله الأبرار، مع خير صحبة وخير جوار كما قال ربنا العزيز الغفَّار: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ﴾ (المطففين: ١٨) .

وفي بعض وصف الجنان يقوم ابن القيم: (ت: ٧٥١هـ) – رحمه الله– في نونيته:

فحيَّ عَلَى جَنَّاتِ عَدنٍ فإنَّها.....مَنازِلَنا الأُولَى وفِيها المخَيَّمُ
ولَكنَّنا سَبيُ اللعدُوِّ فَهَل تَرَى.....نَعُود إلَى أوطَانَنا وَنُسلِّمُ
وقَد زعَمُوا أن الغَرِيبَ إذاَ نَأى.....وشَطَّتْ بِهِ أوطَانُه فهُوَ مُغرَمُ
وأيُّ اغتِرابٍ فوقَ غرُبتنا التِي.....لهاَ أضحَتِ الأعدَاءُ فِينَا تَحَكَّمُ
وَحيَّ عَلَى السُّوقِ الذِي فِيهِ يَلتقِي المحِ ..... بونَ ذَاكَ السُّوقُ للقَومِ مُعلمُ
فَما شِئتَ خُذ منهُ بلاَ ثَمنٍ لَه.....فَقَد أَسلَفَ التُّجارُ فِيه وأسلَمُوا

وَحيَّ عَلَى يَومِ المَزِيدِ الذِي بِهِ.....زِيَارةُ ربِّ العَرشِ فاليَوم مَوسِمُ.

وَحيَّ عَلَى وَادٍ هُنَالِكَ أَفيَحٍ.....وَتربَتُهُ مِن أَذفَرِ المسكِ أعظَمُ
منابِرُ مِن نُورٍ هُنَاكَ وفِضَّةٍ.....وَمِن خَالِصِ العِقيَانِ لاَ يَتقَصَّمُ

شبكة الألوكة www.alukah.net
صليل

وكثبانُ مسكٍ قَد جُعِلنَ مَقَاعِدًا.....لِمَن دُونَ أصحَابِ المنابِرِ تُعلمُ

فَبَينَا هُمُ فِي عَيشِهِم وسُرورِهِم.....وَأَرزَاقُهُم تَجرِي عَلَيهِم وتُقسَمُ

إِذَا هُم بِنورٍ سَاطِعٍ أَشرَقَت لَهُ.....بِأقطَارِهَا الجَنَّاتُ لاَ يُتَوَهَّمُ

تَجَلَّى لَهُم رَبُّ السَّماواتِ جَهرَةً.....فَيَضحكُ رَبُّ العرشِ ثُمَّ يُكلِّمُ

سَلاَمٌ عَلَيكُم يَسمَعُونَ جَمِيعُهُم.....بِآذَانِهِم تَسلِيمَةَ إِذْ يُسلَّمُ

يَقُولُ سَلُونِي مَا اشتَهَيتُم فَكُل مَا..... تُرِيدُونَ عِندِي أَنَّنِي أَنا أرحَمُ

فَقَالُوا جَمِيعًا نَحنُ نَسألُكَ الرِّضَا.....فَأنتَ الذِي تُولِي الجَمِيل وَتَرحمُ

فَيُعطِيهِمُ هذَا ويَشهَدُ جَمعُهم.....عَلَيهِ تَعالَى اللهُ فاللهُ أكرمُ

فَيَا بَائِعًا هَذَا بِبَخسٍ مُعَجَّلٍ.....كَأَنَّك لاَ تَدرِي بَلَى سَوفَ تَعلَمُ

فَإن كُنتَ لاَ تَدرِي فَتِلكَ مُصِيبةٌ.....وإن كُنتَ تَدرِي فالمُصِيبةُ أعظَمُ (٢)

٢- يُنظر: نونية ابن القيم. متن القصيدة النونية المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) الناشر: مكتبة ابن تيمية، القاهرة الطبعة: الثانية، ١٤١٧هـ عدد الأجزاء: ١ . ، حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح: ابن قيم الجوزية: (ص١١). حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، الناشر: مطبعة المدني، القاهرة، عدد الصفحات: ٤١٨.

شبكة الألوكة www.alukah.net

مُلَخْصُ البَحْثِ

هذا "دَلِيلُ الطَّالِعِ والنَّازِلِ فِي بَيَانَ حَقِيقَةِ أَعْلى المَنَازِلِ" وهو بحثٌ لطيفٌ مختصرٌ، تناول فيه الباحث بيان منازل المتقين، ودرجات عباد الله الصالحين، السائرين إلى رضوان رب العالمين في مدارج ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (الفاتحة: ٥)، **وهاتان هما الكلمتان**: اللتان يدور عليهما مدار الخلق، ومدار تحقيق العبودية لرب البرية -عبودية واستعانة-، **وهما الكلمتان**: اللتان تدفعان الكبر والرياء، **وهما الكلمتان**: اللتان أنزلت من أجلهما الكتبُ، وأرسلت من أجلهما الرسلُ، وشرعت من أجلهما الشرائعُ، ونصب من أجلهما الصراطُ على متن جهنم، ومن أجلها نُصِبَتِ الْمَوَازِينُ، وَوُضِعَتِ الدَّوَاوِينُ، وتطايرت من أجلهما الصحفُ، ومن أجلهما قام سوقُ الجنة والنار، وانقسم الخلقيةُ إلى مؤمنين أبرار، وإلى كفار فجار، وعليهما يجري الحسابُ، ويترتب الجزاءُ من ثواب، أو عقاب.

Research Summary

This is “the guide to the rising and the descending in the statement of the truth of the highest of the mansions” and it is a nice brief research, in which the researcher dealt with a statement of the positions of the pious, and the degrees of the righteous servants of God, who walk to the pleasure of the Lord of the Worlds in the paths of them: Which revolve around the orbit of creation, and the orbit of realization of servitude to the Lord of the wilderness - servitude and seeking help, and they are the two words that repel arrogance and hypocrisy, and they are the two words for which books were revealed, and for which messengers were sent, and laws were legislated for them, and the path was set up for them on the board of Hell, and for it. The scales were erected, and the medicines were established, and the newspapers flew for their sake, and for their sake the market of Heaven and Hell was established, and the morals were divided into righteous believers, and ungodly infidels, and they are accountable, and the punishment will be reward or punishment.

شبكة الألوكة
www.alukah.net

خِطَّةُ البَحْثِ

وقد ضمَّن الباحثُ بحثَه خِطَّة بحث مكونة من فصلين، وكل فصل يندرج تحته عدد من المباحث، وكل مبحث يندرج تحته عدد من المطالب، وقد بيَّن فيه ما يلي:

أولًا: أهمية موضوع البحث

ثانيًا: أهم الدراسات السابقة وأبرزها

ثالثًا: أسباب ودواعي اختيار موضوع البحث

رابعًا: أهداف البحث

خامسًا: منهج البحث

سادسًا: خاتمة البحث، وبيان أهم النتائج التي توصلت لها تلك الدراسة المختصرة

سابعًا: مجموع الفهارس

وخطة البحث مكونة من فصلين وقد بيَّنها مفصلة على النحو التالي:

الفصل الأول

(تقرير العبودية لله تعالى)

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مفهوم العبودية

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مفهوم العبودية في اللغة

المطلب الثاني: مفهوم العبودية في الشرع

المبحث الثاني: بيان أقسام العبودية

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: القسم الأول من أقسام العبودية "عبودية الغلبة والقهر والملك"

المطلب الثاني: القسم الثاني من أقسام العبودية "عبودية الاختيار والانقياد والطاعة والمحبة"

المبحث الثالث: بيان حقيقة العبودية

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: بيان مفهوم حقيقة العبودية عند أئمة التفسير

المطلب الثاني: بيان شرطي تحقق العبودية

المطلب الثالث: تقرير عبودية الله تعالى في سورة الفاتحة

شبكة الألوكة www.alukah.net

الفصل الثاني

أصل الدين مبنى على أصلين عظيمين

(العبودية – والاستعانة)

وفيه مباحث:

المبحث الأول: مفهوم العبودية في آيتي الفاتحة، والذاريات، في قوله تعالى:

﴿إياك نعبد...﴾ (٤ : الفاتحة)، وفي قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات:٥٦)

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: مفهوم العبودية في قوله تعالى: ﴿إياك نعبد...﴾ (٤ : الفاتحة)

المطلب الثاني: مفهوم العبودية في قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات:٥٦)

المطلب الثالث: قواعد العبودية التي بنيت على قوله تعالى:﴿إياك نعبد...﴾ (٤ : الفاتحة)

المطلب الرابع: بيان أهل العلم وأئمة التفسير رحمهم الله حول قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ﴾. (الذاريات:٥٦)

المبحث الثاني: بيان مفهوم الاستعانة وأنواعها

وفيه مطالب:

المطلب الأول: مفهوم الاستعانة في اللغة

المطلب الثاني مفهوم الاستعانة في الشرع

المطلب الثالث: أنواع الاستعانة

المبحث الثالث: العلاقة بين منزلتي "العبودية والاستعانة"، وأقسام الناس فيهما

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مكانة العبودية والاستعانة وتحقيق التلازم بينها

المطلب الثاني: أقسام الخلق في منازل" إياك نعبد وإياك نستعين"

شبكة الألوكة www.alukah.net

منهجية البحث

أولًا: أهمية موضوع البحث

١- تتعلق أهمية موضوع البحث بفحوى ومضمون مسمَّاه "دَلِيلُ الطَّالِعِ والنَّازِلِ فِي بَيَانَ حَقِيقَةِ أَعْلى المَنَازِلِ"، والذي يُعد هو الغاية من خلق الخلق، والتي بيَّنها الله لعباده في قوله سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات:٥٦)

٢- ثم بيان منازل السعداء في تحقيق العبودية وارتقائهم في مدارج ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (٥: الفاتحة).

ثانيًا: أهم الدراسات السابقة وأبرزها

لم يقف الباحث في حدود بحثه الضيق على أي دراسة تناولت موضوع البحث بأسلوب علمي متخصص متكامل الجوانب في موضوع واحد، غير ما أملاه أئمة الإسلام وسادات الأنام من العلماء الأجلاء الكرام، سواء ما أملاه أئمة التفسير وسادات التحبير والتأويل حول آيات العبودية ولاسيما في فاتحة الكتاب، وما جاد به يراع شيخ الإسلام ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) – رحمه الله – في بطون مؤلفاته، ك "العبودية، ومجموع الفتاوى، وغيرها"، وكذلك ما سطره الإمام ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) – رحمه الله – في" مدارج السالكين"، وغيره مما جادت به قريحته وسال به مداد قلمه.

ثالثًا: أسباب ودواعي اختيار موضوع البحث

لعل من أبرز دواعي اختيار موضوع البحث ما يلي:

١- تجلية حقيقة العبودية ومكانتها وقدرها من الدين

٢- إظهار حقيقة التلازم بين ركني العبودية- عبادة – واستعانة، وأنهما أس الدين وركنه الركين

٣- لفت أنظار المؤمنين إلى أن إيمان العبد لا يكمل ولا يتم إلا بتحقق ركني العبودية جميعًا- عبادة – واستعانة

٤- تناول موضوع البحث وتقريبه بأسلوب سهل وعبارة جزلة للطالبين

٥- حث الباحثين على إثراء موضوع البحث وترغيبهم في تناول دراسته بالبحث والتنقيب لإخراج درره الكامنة وكنوزه الفاخرة وأحكامه الباهرة التي يجتمع بها للعبد خيري الدنيا والآخرة

شبكة الألوكة www.alukah.net

رابعًا: أهداف البحث

١- إظهار وبيان وتجلية حقيقة مفهوم العبودية وأنها مبنية على الذل والافتقار

٢- بيان أن الخلق كلهم عبيد مربوبون لله، فمنهم من هداه الله فأتى منقادًا ذليلًا منصاعًا لربوبيته مختارًا لعبوديته بمحض إرادته واختياره، ومنهم متمردٌ خارجٌ عن عبودية الاختيار والانقياد، فهذا وإن تمرَّد ولم يأت مختارًا طائعًا فإنه مقهورٌ بعبودية القهر والغلبة والملك التي لا ينفك عنها أي مخلوق كائنًا من كان.

٣- تنبيه أولي الألباب لوجوب تحقيق العناية بالغاية التي خلقه من أجلها رب الأرباب، ألا وهي العبادة، بمفهومها الشامل الكامل-عبودية واستعانة- ذلك لأن العبادة هي الغاية التي خلقهم الله من أجلها، والاستعانة هي الوسيلة لتحقيق تلك الغاية، ولا يتم ذلك للخلق إلا بتمام الانقياد لأمر خالقهم ومربيهم على نعمه وموائد فضله والاستجابة لأمره ذلًا وخضوعًا، ومحبة وإجلالًا وتعظيمًا بمحض إرادتهم واختيارهم.

٤- بيان مدارج السالكين في منازل ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (٥: الفاتحة) ليتنافس فيها المتنافسون، ويسارع إليها الراغبون، ويطمع في الارتقاء في منازلها عباد الله الصالحون وأولياؤه المتقون.

٥- التحذير من التَّوان عن المسابقة والمسارعة في سلوك سبل السلام، والتحذير عن التأخر مع المتأخرين والتخاذل مع المتخاذلين الذين حُرِموا من أسباب النعيم، من الذين قصرت وقعدت بهم هممهم عن مصاحبة أولى الهمم العالية أهل السعادة

والرقي في مدارج تحقيق العبودية، المؤدي إلى رضى الرحمن وسكنى أعالي الجنان.

٦- الحث على التوكُّل على الله الاستعانة به وحده - سبحانه-، لأن من توكَّل على غيره واستعان بسواه والتفت بقلبه لغيره، وَكَلَهُ اللهُ إلى ضعف وعورة، فصار مخذولًا في أشد المواطن التي يحتاج فيه لمعية الله ونصره وتوفيقه وتأييده، ذلك لأن من عرف اللهَ في الرخاء عرفه اللهُ في الشدة، ومن خضع لله وذلَّ ورفع له حوائجه

وتوكَّل عليه وحده واستعان به ولم يستعن بسواه حال رخائه، عامله الله بلطفه وشمله برحمته وأعانه وتولاه حال شدته وقضى له حاجته.

شبكة الألوكة www.alukah.net

خامسًا: منهج البحث

المنهج الوصفي:

لقد استخدم الباحث المنهج الوصفي الذي يعتمد على أبرز الخطوات التالية:

١- إبراز أهداف البحث ومشكلاته

٢- جمع الخطوات الكافية لتلك الأهداف

٣- تحديد تلك الأهداف المرجو معالجتها وإبرازها في ثنايا بحثه

٤- وضع فروض الدراسة التي تتبلور من عنوان البحث ليطابق موضوع البحث ومسماه ما تضمنته وتناولته تلك الدراسة

٥- تحديد العينة البحثية التي تتناولها تلك الدراسة، وقد حُددت تلك العينة في هذا البحث، ألا وهي منازل السائرين إلى الله في منازل: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (٥: الفاتحة)

٦- تعرض تلك الدراسة في نهايتها لخاتمة البحث وإبراز لأهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها .

شبكة الألوكة www.alukah.net

الفصل الأول (تقرير العبودية لله تعالى)

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مفهوم العبودية

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مفهوم العبودية في اللغة

العبودية: مصدر عبد يعبد عبادةً ومعبدًا ومعبدةً، فهو عبدٌ، أي: ذلّ وخضع.

قال الخليل(ت ١٧٠هـ) **– رحمه الله–:**

"أما عَبد يعبد عبادة، فلا يقال إلا لمن يعبد الله تعالى، يقال منه عبد يعبد عبادة وعبودة وعبودية ومعبدًا، وتعبد يتعبد تعبدًا، فالمتعبد: المنفرد بالعبادة". (٣)

ويجلي ابن منظور(ت ٧١١هـ) **مفهوم العبودية في اللغة فيقول:**

"أصل العبودية الخضوع والتذلل... وعَبَدَ اللهَ تألّه له... والتعبّد التنسك، والعبادة: الطاعة". (٤)

وقال الفراء (ت: ٢٠٧هـ) "معنى العبادة في اللغة الطاعة مع الخضوع، ومنه طريق معبد إذا كان مذللًا بكثرة الوطء". (٥)

وقيل: "عبادة الله: طاعته بفعل المأمور وترك المحذور". (٦)

وقال ابن الأنباري(ت: ٣٢٨هـ) **– رحمه الله–:** "فلان عابد وهو الخاضع لربه المستسلم المنقاد لأمره". (٧)

وقال الزبيدي (ت: ١٢٠٥هـ): "أصل العبودية الذل والخضوع، **وقال آخرون:** العبودية الرضا بما يفعل الرب، والعبادة فعل ما يرضى به الرب". (٨)

٣-الفراهيدي/ العين (٤٨/٢). أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت ١٧٠هـ).

٤- العرب (٢٧٧٦/٥) ، مادة (ع ب د).

٥-يُنظر: لسان العرب (٢٧٧٨/٥) ، مادة (ع ب د). لسان العرب المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ) الناشر: دار صادر – بيروت الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ عدد الأجزاء: ١٥ .

٦- ابن تيمية/ العبودية: (٥). العبودية المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ) المحقق: محمد زهير الشاويش الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت الطبعة: الطبعة السابعة المجددة ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م (هذه الرسالة مطبوعة أيضًا ضمن "مجموع الفتاوى" ١٤٩/١٠، وفي "الفتاوى الكبرى" ١٥٥/٥).

٧-يُنظر: لسان العرب: (٢٧٧٨/٥) ، مادة (ع ب د).

شبكة الألوكة www.alukah.net

المطلب الثاني: مفهوم العبودية في الشرع

والعبودية مشتقة من العبادة، وقد عرفها ابن تيمية(ت: ٧٢٨هـ) **– رحمه الله – بقوله:** "هِيَ اسْم جَامع لكل مَا يُحِبهُ الله ويرضاه من الْأَقْوَال والأعمال الْبَاطِنَة وَالظَّاهِرَة." (٩)، **وقيل:** "وَهِيَ اسْمٌ يَجْمَعُ كَمَالَ الْحُبِّ لِلَّهِ وَنِهَايَتَهُ وَكَمَالَ الذُّلِّ لِلَّهِ وَنِهَايَتَهُ". (١٠)

ولا شك أن تعريف ابن تيمية رحمه الله تعريف جامع مانع، وهو أفضل من عرف معنى العبودية وكتابه: (العبودية) شاهد عيان على ذلك، وقد عرض فيها حقيقة العبودية في الإسلام بشموليتها وكمالها وتمامها، وهو من أنفع وأمتع ما كُتِبَ في بابه تحقيقًا وتدقيقًا وسبكًا وحبكًا للأسلوب وعرضًا للمادة العلمية، لما لا وهو إمام جهبذ وعالم نحرير ما جادت لنا بمثله الأرحام من ذاك الزمان.

وقال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) **– رحمه الله–:** "العبودية اسم جامع لمراتب أربع: من قول اللسان والقلب، وعمل القلب والجوارح.

فقول القلب هو اعتقاد ما أخبر الله سبحانه به عن نفسه وعن أسمائه وصفاته وأفعاله وملائكته على لسان رسله عليهم السلام.

وقول اللسان الإخبار عن قول القلب بما فيه من الاعتقاد والدعوة إليه والذب عنه، وتبيين بطلان البدع المخالفة والقيام بذكره وتبليغ أوامره.

وعمل القلب كالمحبة له والتوكل عليه والإنابة إليه والخوف منه والرجاء له وإخلاص الدين له والصبر على أوامره وعن نواهيه وعلى أقداره والمعاداة فيه والخضوع والذل له وغير ذلك من أعمال القلب.

وأعمال الجوارح كالصلاة والحج والجهاد وغيرها". (١١)

ويعرفها المناوي(ت: ١٠٣١هـ) **بقوله:** "العبادة فعل المكلف على خلاف هوى نفسه تعظيمًا لربه. وقيل: هي الأفعال الواقعة على نهاية ما يمكن من التذلل والخضوع المتجاوز لتذلل بعض العباد لبعض، ولذلك اختصت بالرب، وهي أخص من العبودية التي تعني مطلق التذلل." (١٢)

٨- تاج العروس: (٢/٤٠٩).

٩- العبودية لابن تيمية: (ص: ٤٤).

١٠- مجموع الفتاوى: (١٠/ ١٩). مجموع الفتاوى المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ) المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية عام النشر: ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

١١- مدارج السالكين: (١/١٠٠). مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة: الثالثة، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦م عدد الأجزاء: ٢ .

١٢- المناوي/ التوقيف على مهمات التعاريف (٢٣٤).

شبكة الألوكة www.alukah.net

المبحث الثاني: بيان أقسام العبودية

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: القسم الأول من أقسام العبودية "عبودية الغلبة والقهر والملك"

العبودية: عبوديتان:

أما العبودية الأولى فهي "عبودية الغلبة والقهر والملك"

وهي عبودية كل من في السموات والأرض مؤمنهم وكافرهم، برهم وفاجرهم، كما قال تعالى:﴿إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا لَّقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾ (مريم: ٩٣-٩٥)، كما تسمى أيضًا بالعبودية العامة.

يقول شيخ المفسرين ابن جرير الطبري(ت: ٣١٠هـ) – رحمه الله –:

"ما جميع من في السماوات من الملائكة، وفي الأرض من البشر والإنس، يقول: إلا يأتي ربه يوم القيامة عبدًا له، ذليلًا خاضعًا، مقرًا له بالعبودية، لا نسب بينه وبينه. (١٣)

ويقول الإمام البغوي(ت: ٥١٩هـ) – رحمه الله –:

﴿إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا﴾ أي: إلا آتيه يوم القيامة (عبدًا) ذليلًا خاضعا يعني: أن الخلق كلهم عبيده. (١٤)

ويقرر أبو السعود (ت: ٩٨٢هـ) – رحمه الله – ما قرراه، أعني: شيخَ المفسرين، والإمامَ البغوي بقوله:

(أي: ما منهم أحد من الملائكة والثقلين﴿إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا﴾ إلا وهو مملوك له، وهو مملوك له، يأوي إليه بالعبودية والانقياد). (١٥)

١٣- تفسير الطبري: القول في تأويل قوله تعالى "أن دعوا للرحمن ولدًا" (٢٦١/١٨). جامع البيان في تأويل القرآن المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) المحقق: أحمد محمد شاكر الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م عدد الأجزاء: ٢٤ .

١٤- تفسير البغوي: تفسير: قوله تعالى "أن دعوا للرحمن ولدا" (٥٢٧/٥). معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي المؤلف: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: ٥١٠هـ) المحقق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة: الرابعة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م عدد الأجزاء: ٨ .

١٥- تفسير أبي السعود: تفسير قوله تعالى "إن كل من في السماوات والأرض إلا آتي الرحمن عبدًا".، (٢٨٣/٥). تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم المؤلف: أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت .

شبكة الألوكة www.alukah.net

وفي صدد ذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) – رحمه الله –:

"المخلوقون كلُّهم عبادُ الله: الأبرار منهم والفجَّار، والمؤمنون والكفَّار، وأهل الجنَّة وأهل النار؛ إذ هو ربُّهم كلهم ومليكُهم، لا يخرجون عن مشيئتِه وقدرته... فهو سبحانه ربُّ العالمين وخالقُهم ورازقُهم، ومُحييهم ومميتُهم... سواء اعترَفوا بذلك أو أنْكروه، وسواء علِموا ذلك أو جهلوه.

لكنَّ أهلَ الإيمان منهم عرَفوا ذلك وآمَنوا به؛ بخلافِ مَن كان جاهلًا بذلك؛ أو جاحدًا له مستكبرًا على ربِّه...).(١٦)

وفي صدد بيان هذه العبودية أيضًا يقول سبحانه: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ (آل عمران:٨٣).

ويقول سبحانه: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُ بَل لَّهُ كُلٌّ لَّهُ قَٰنِتُونَ﴾ (البقرة:١١٦).

قال شيخ المفسرين ابن جرير الطبري(ت: ٣١٠هـ) – رحمه الله – في تفسير قول الله تعالى:

"وأولى معاني القنوت في قوله: ﴿كُلٌّ لَّهُ قَٰنِتُونَ﴾ الطاعة والإقرار لله عز وجل بالعبودية بشهادة أجسامهم بما فيها من آثار الصنعة، والدلالة على وحدانية الله عز وجل، وأن الله تعالى ذكره بارئها وخالقها، وذلك أن الله جل ثناؤه أكذب الدين زعموا أن لله ولدًا بقوله: ﴿بَل لَّهُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ملكًا وخلقًا، ثم أخبر عن جميع ما في السموات والأرض أنها مقرة بدلالتها على ربها وخالقها، وأن الله تعالى بارؤها وصانعها، وإن جحد ذلك بعضهم فألسنتهم مذعنة له بالطاعة بشهادتها له بآثار الصنعة التي فيها بذلك، وأن المسيح أحدهم، فأنى يكون لله ولدًا وهذه صفته؟!". (١٧)

ويقول الله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ (آل عمران:٨٣)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) – رحمه الله –:

"فذكر إسلام الكائنات طوعًا وكرهًا؛ لأن المخلوقات جميعها متعبّدةٌ له التعبد العام، سواءٌ أقر المقر بذلك أو أنكره، وهم مدينون له مُدبَّرون، فهم مسلمون له طوعًا وكرهًا، ليس لأحد من المخلوقات خروجٌ عما شاءه وقدّره وقضاه، ولا حول ولا قوة إلا به، وهو رب العالمين ومليكهم، يُصرّفهم كيف يشاء، وهو خالقهم كلّهم، وبارئهم ومُصورهم، كل ما سواه فهو مربوب مصنوعٌ مفطورٌ، فقيرٌ محتاجٌ معبَّد مقهورٌ، وهو سبحانه الواحد القهار الخالق البارئ المصوّر." (١٨)

١٦- العبودية لابن تيمية: ويُنظر: (ص: ٥٠ -٥١، ويُنظر: - أيضًا - ص: ١٠٤).

١٧- تفسير الطبري: (١/٥٠٧-٥٠٨).

١٨- العبودية: (ص١٤٥).

شبكة الألوكة www.alukah.net

المطلب الثاني: القسم الثاني من أقسام العبودية "عبودية الاختيار والانقياد والطاعة والمحبة"

ويقرر ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) – رحمه الله– أن: "العبودية نوعان: عامة وخاصة.

ثم يقول رحمه الله:

"**وأما النوع الثاني:** فعبودية الطاعة والمحبة واتباع الأوامر، قال تعالى: ﴿يٰعِبَادِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلاَ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ (الزخرف:٦٨)، وقال تعالى: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ (الزمر:١٧،١٨)، وقال: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَىٰ ٱلأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجٰهِلُونَ قَالُواْ سَلاَمًا﴾ (الفرقان:٦٣، ٦٤).

فالخلق كلهم عبيد ربوبيته، وأهل طاعته وولايته هم عبيد ألوهيته." (١٩)

وأهل هذه العبودية: أقبلوا على ربهم وخالقهم ورازقهم طائعين منقادين لعبوديته سبحانه، مطيعين لأوامره بمحض إرادتهم واختيارهم،

فهي عبودية محبة وانقياد وطاعة وذل وخضوع،

وقد نسبهم الله إليه نسب تكريم وتشريف فقال في حقهم: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَىٰ ٱلأَرْضِ هَوْنًا﴾ (الفرقان:٦٣)، وهذه العبودية خاصة بالمؤمنين الذين يطيعون الله تعالى باختيارهم وإرادتهم لا يشاركهم فيها أحد من الكفار الذين خرجوا عن شرعه وتمردوا على أوامره ونواهيه. فنالوا بذلك عز الدنيا وشرفها وكرامة الآخرة وفضلها وأجرها.

والخلق في هذه العبودية ترى بينهم بونًا شاسعًا، وهم متفاوتون فيها تفاوتًا كبيرًا وعظيمًا؛ فكلما كان العبد محبًا لربه متبعًا لأوامره، منتهيًا عن نواهيه، منقادًا لشرعه، خاضعًا لسلطانه، كان تحقيقه لعبودية ربه أجل وأعظم وأكمل.

وأعظم الناس تحقيقًا لمقام العبودية هم صفوة خلقه وأمنائه على وحيه وسفرائه بينه وبين عباده من النبين والمرسلين، وأعبدهم لله أجمعين هو سيدهم وإمامهم وأفضلهم وخاتمهم نبينا محمد – صلى الله عليه وسلم –، ولذا خُص بالذكر بوصف العبودية مجردة في كتاب الله في أشرف المقامات

وأعلاها وأزكاها، كما قال سبحانه: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾ (الكهف:١) وهذا في مقام الوحي وهو من أشرف المقامات وأعظمها وأجلها، وفي مقام الدعوة إلى الله قال سبحانه: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ (الجن:١٩)

وفي مقام الإسراء قال سبحانه: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى﴾ (الإسراء:١) ولا شك أن مقام الإسراء مقام تشريف كذلك.

١٩- مدارج السالكين: (١/١٠٥).

شبكة الألوكة www.alukah.net

فالشرف المروم لمن استكمل تحقيق العبودية، ولا يكون تحقيقها إلا مع كمال الذل والخضوع والافتقار لله الواحد القهار، والعبودية المتعلقة بربوبية الله هي العبودية العامة التي تشمل جميع الخلائق مؤمنهم وكافرهم وبرهم وفاجرهم.

فإذا علم العبد أن له **ربًا وخالقًا ورازقًا ومدبرًا** لكل شؤونه، وأنه فقير إليه -عرف تلك العبودية العامة المتعلقة بربوبيته سبحانه، وَقد يعبده مَعَ ذَلِك وَقد يعبد غيره من الأصنام والأوثان، وإن لم يقر بها فهو داخل تحتها شاء أم أبى، لأنها شاملة له قهرًا وغلبة.

والعبودية العامة التي هي عبودية القهر والغلبة، لا تكفي للدخول في الإسلام، فقد أقر بها كفار قريش ومع ذلك قاتلهم النبي - صلى الله عليه وسلم - واستحل دماءهم وأموالكم، ذلك لأنهم لم يقروا بالعبودية الخاصة، وهي عبودية الألوهية التي توجب تحقيق التوحيد وصرف العبادة كلها لله، كما قال ربنا في ذلك: ﴿**قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ**﴾ (الأنعام: ١٦٣-١٦٣)

فهم قد أقروا بربوبيته سبحانه وأقروا أنه تعالى هو الخالق كما قَالَ تَعَالَى: ﴿**وَلَئِن سَأَلتهمْ من خلق السَّمَاوَات وَالْأَرْض لَيَقُولن الله**﴾ ((لُقْمَان:٢٥)، فهذا إقرار صريح بربوبيتهم لربهم، ومع ذلك لم ينفعهم إقرارهم بالربوبية لعدم تحقيق توحيد الألوهية

كَمَا قَالَ الله تَعَالَى: ﴿**وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلا وَهُمْ مُشْرِكُونَ**﴾ (يوسف:١٦٠).

لأنهم مع ذلك يعْبدُونَ الاصنام والأوثان، ولم يصرفوا العبادة للإله الواحد الملك الديان.

أما العبودية المتعلقة بألوهيته سبحانه فهي العبودية الخاصة المتعلقة بعبادته سبحانه وتأليهه وتوحيده وإخلاص الوجه له وقصده وحده بالعبادة دون ما سواه، خوفًا وطمعًا، رغبًا ورهبًا.

والخلاصة: أن جميعُ المخلوقات عبيد مقهورون لربوبيته تبارك تعالى، أما أهل طاعته وأهل كرامته فهم عبيد ألوهيته تعالى، الخاضعون المتذللون لربهم، خضوع وتذلل، وعبودية اختيار لا عبودية قهر وغلبة، وتلك هي العبودية الخاصة.

شبكة الألوكة www.alukah.net

المبحث الثالث: بيان حقيقة العبودية

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: بيان مفهوم حقيقة العبودية عند أئمة التفسير

أما حقيقة العبودية: فهي الغاية العظمى التي خلق الله من أجلها الخلق كما بين ذلك في محكم كتابه فقال سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات: ٥٦)،

قال ابن جرير الطبري(ت: ٣١٠هـ) **– رحمه الله –:**

"اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات: ٥٦)، فقال بعضهم: معنى ذلك: وما خلقت السعداء من الجن والإنس إلا لعبادتي، والأشقياء منهم لمعصيتي."

أي خلقهم لأجل أن يعبدونه سبحانه فمن عبده أكرمه ومن ترك عبادته أهانه." (٢٠)

وحَصَرَ سبحانه وتعالى الحِكمة من خلقهم في قوله: ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ ليتبين ويتأكد لهم أن الحِكمة من خلقهم هي: عبادته سبحانه وتعالى، وخلق كل شيء لرعايتهم ورعاية مصالحهم ومصالح معاشهم، وسَخَّر لهم كل ما في السموات والأرض ليستعينوا بها على عبادته وطاعته سبحانه وتعالى.

ومعنى ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ أي: يوحدونني، فيفردونني بالعبادة، ولا يعبدوا سواي، والعبادة لا تسمى عبادة إلا مع التوحيد ولا تصح ولا تقبل إلا به، فهو قوامها وأسها وأساسها المتين الذي لا قوام لها ولا ووجود إلا به، فهو كالطهارة للصلاة لا تصح ولا تقبل إلا بها فهي شرط صحة، كما أن التوحيد شرط صحة في صحة العبادة وقبولها.

وتحقيق العبودية لرب البرية هي المهمة العظيمة التي من أجلها أرسلت الرسل وأنزلت الكتب وقام سوق الأخرة ففريق في الجنة وفريق في السعير

قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ (الأنبياء: ٢٥)، وقال لرسوله – صلى الله عليه وسلم –: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ (الحجر: ٩٩)، واليقين هنا هو: الموت.

وقال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) **– رحمه الله–:** "والمحبة مع الخضوع هي العبودية التي خلق الخلق لأجلها، فإنها غاية الحب بغاية الذل، ولا يصلح ذلك إلا له سبحانه، والإشراك به في هذا هو الشرك الذي لا يغفره الله ولا يقبل لصاحبه عملًا". (٢١)

٢٠– تفسير الطبري: (٢٢/٤٤٥).

٢١– الفوائد ص: (١٨٣).

شبكة الألوكة www.alukah.net

وقال – رحمه الله – في نونيته:

وعبادةُ الرحمن غَايَةُ حُبِّهِ	مع ذُلِّ عابده هما قُطْبَانِ
وعليهما فلك العبادة دائرٌ	ما دار حتى قامت القطبانِ
ومداره بالأمر أمرِ رسوله	لا بالهوى, والنفسِ, والشيطانِ. (٢٢)

المطلب الثاني: بيان شرطي تحقق العبودية

وأخيرًا: فإن العبودية الحقة لا تتحقق إلا بتحقيق أصلين عظيمين:

الأصل الأول: إفراده الله تعالى بالعبادة ونبذ عبادة كل ما سواه، وهذا هو مقتضى شهادة ألا أله إلا الله

الأصل الثاني: ألا يُعبد اللهُ إلا بما شرع، وهذا هو مقتضى شهادة أن محمدًا رسول الله.

فمن حقق هذين الأصلين العظيمين بكمالهما وتمامهما، فقد حقق العبودية الحقة التي ينال به العبدُ سعادةَ الدارين.

المطلب الثالث: تقرير عبودية الله تعالى في سورة الفاتحة

إن المتأمل في السورة الكريمة يتجلى له محور السورة الرئيس ألا وهو قضية التوحيد وتقرير العبودية التي خلق الله من أجلها الجن والإنس، فلم يخلقهم عبثًا ولم يتركهم سدى: كما قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ (المؤمنون: ١١٥).

وفي قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (٥: الفاتحة) يتجلى بوضوح تقرير العبودية في السورة الكريمة، ومن هنا يتبين أن بيان تقرير العبودية لله هو المحور الرئيس في السورة الكريمة.

وفي نحو ذلك يقرر الفخر الرازي (ت: ٦٠٦هـ) **– رحمه الله– فيقول:**

"والمقصود من كل القرآن تقرير أمور أربعة: الإلهيات، والمعاد، والنبوات، وإثبات القضاء والقدر لله تعالى، فقوله ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ **يدل على الإلهيات**، وقوله ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ يدل على المعاد، وقول: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ يدل على نفي الجبر والقدر، وعلى إثبات أن الكل بقضاء الله وقدره، وقوله: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ يدل أيضًا على إثبات قضاء الله وقدره وعلى النبوات، فلما كان المقصد الأعظم من القرآن هذه المطالب الأربعة، وكانت هذه السورة مشتملة عليها – لقبت بأم القرآن." (٢٣)

وفيما ذكره الفخر الرازي وقرره إنما هو تقرير لكل أنواع العبودية في السورة الكريمة،

---

٢٢ – الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية: (ص:٣٢).

٢٣– التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب للفخر الرازي "سورة الفاتحة"(ص:١٤٥). مفاتيح الغيب = التفسير الكبير المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ .

شبكة الألوكة www.alukah.net

فاشتمال السورة على حمده تعالى وتمجيده بأسمائه وصفاته والثناء عليه والإقرار باليوم الآخر وإثبات البعث والجزاء، وتنزيه الله عن كل نقص ووصفه تعالى بكل كمال يليق بذاته المقدسة، وحصر العبادة والاستعانة فيه وحده، وطلب الهداية إلى صراطه المستقيم، والإلحاح عليه بالثبات على هذا الصراط، صراط المنعم عليهم، وطلب البعد عن طريق أهل الغواية والزيغ ممن غضب عليه وأضلهم، كل ذلك يؤكد ويبرهن ويوضح تقرير السورة الكريمة للعبودية بمعناها الشامل والكامل، وآيات السورة مقررة لأنواع التوحيد الثلاثة كما مر معنا في ثنايا البحث وكما سيأتي تفصيل ذلك في موضعه بإذن الله تعالى.

ومما يبرهن ويؤكد تقرير الفاتحة للعبودية حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ الله عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ" :قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: حَمِدَنِي عَبْدِي وَإِذَا قَالَ: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي وَإِذَا قَالَ: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ قَالَ: مَجَّدَنِي عَبْدِي وَقَالَ مَرَّةً: فَوَّضَ إِلَيَّ عَبْدِي فَإِذَا قَالَ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ فَإِذَا قَالَ:: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ قَالَ: هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ." (٢٤). **ولعل في هذا كفاية، والحمد لله رب العالمين .**

٢٤- "أخرجه عبد الرزاق (١٢٨/٢، رقم ٢٧٦٧) ، وأحمد (٢٨٥/٢، رقم ٧٨٢٣) ، وأبو داود (٢١٦/١، رقم ٨٢١)، ومسلم (٢٩٦/١، رقم ٣٩٥)، والترمذي (٢٠١/٥، رقم ٢٩٥٣)، وقال: حسن. والنسائي (١٣٥/٢، رقم ٩٠٩)، وابن ماجه (١٢٤٣/٢، رقم ٣٧٨٤)، وابن حبان (٨٤/٥، رقم ١٧٨٤).

شبكة الألوكة www.alukah.net

الفصل الثاني

الدين مَبْنِيٌّ على (العبودية – والاستعانة)

وفيه مباحث:

المبحث الأول: مفهوم العبودية في آيتي الفاتحة، والذاريات، في قوله تعالى: (إياك نعبد...) (٤: الفاتحة)، وفي قوله تعالى: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ) (الذاريات:٥٦)

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: مفهوم العبودية في قوله تعالى: (إياك نعبد...) (٤: الفاتحة)

أولًا: العبودية، في قوله: ﴿إياك نعبد﴾ وبيان أن تحقيق العبودية هي الغاية من خلق القلق.

والله تعالى قد خلق المكلفين من الثقلين لمهمة عظيمة وغاية جليلة، ألا وهي عبادته جل في علاه، خلقهم ليعبدوا وهو غني عنهم غنى تام، وهم فقراء إليه سبحانه فقرًا تامًا.

المطلب الثاني: مفهوم العبودية في قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات:٥٦)

قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات:٥٦)

"أي: إنما خلقتهم لآمرهم بعبادتي، لا لاحتياجي إليهم.

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿إِلا لِيَعْبُدُونِ﴾ أي: إلا ليقروا بعبادتي طوعًا أو كرهًا، وهذا اختيار ابن جرير.

وقال ابن جُرَيْج: إلا ليعرفون.

وقال الربيع بن أنس: ﴿إِلا لِيَعْبُدُونِ﴾ أي: إلا للعبادة ([٢٥]).

وقال القرطبي (ت: ٦٧١هـ) **– رحمه الله –**: "أي: ليذلوا ويخضعوا لي"([٢٦])

٢٥- تفسير ابن كثير: (٤٢٥/٧). تفسير القرآن العظيم (ابن كثير) المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) المحقق: محمد حسين شمس الدين الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت الطبعة: الأولى – ١٤١٩ هـ .

٢٦- تفسير القرطبي: (٥٦/١٧). الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ) تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م عدد الأجزاء: ٢٠ جزءا (في ١٠ مجلدات).

شبكة الألوكة www.alukah.net

"قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ﴿إلا لِيَعْبُدُونِ﴾ أي إلا لآمرهم أن يعبدوني وأدعوهم إلى عبادتي، يؤيده قوله -عز وجل: ﴿وَمَا أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ إِلَهًا وَاحِدًا﴾ (التوبة -٣١).

وقال مجاهد: إلا ليعرفوني .

وهذا أحسن لأنه لو لم يخلقهم لم يعرفوا وجوده وتوحيده، و" **قيل:** معناه إلا ليخضعوا إلي ويتذللوا، ومعنى العبادة في اللغة: التذلل والانقياد، فكل مخلوق من الجن والإنس خاضع لقضاء الله، متذلل لمشيئته لا يملك أحد لنفسه خروجًا عما خلق عليه.

وقيل: " إلا ليعبدون " إلا ليوحدوني، فأما المؤمن فيوحده في الشدة والرخاء، وأما الكافر فيوحده في الشدة والبلاء دون النعمة والرخاء، بيانه قوله - عز وجل: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ (العنكبوت -٦٥). (٢٧).

قال النووي (ت: ٦٧٦هـ) **– رحمه الله–:**

"وهذا تصريح بأنهم خلقوا للعبادة، فحق عليهم الاعتناء بما خلقوا له والإعراض عن حظوظ الدنيا بالزهادة فإنها دار نفاد لا محل إخلاد، ومركب عبور لا منزل حبور" (٢٨).

وأهل العبودية الحقة موقنون بذلك.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية(ت: ٧٢٨هـ) **– رحمه الله –:**

"إن الله خلق الخلق لعبادته الجامعة لمعرفته والإنابة إليه ومحبته والإخلاص له". (٢٩)

المطلب الثالث: قواعد العبودية التي بنيت على قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ (٤ : الفاتحة)

وقال الإمام ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) **– رحمه الله –:**

" وبنى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ على أربع قواعد: التحقق بما يحبه الله ورسوله ويرضاه من قول اللسان والقلب، وعمل القلب والجوارح، فالعبودية اسم جامع لهذه المراتب الأربع. قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ﴾ ". (٣٠)

---

٢٧ - تفسير البغوي: (٣٨١/٧).

٢٨- رياض الصالحين، للنووي: (ص: ٣٧). رياض الصالحين المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ) الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت-الطبعة الأولى-١٤١٢هـ - تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني عدد الأجزاء: ١.

٢٩- العبودية: (ص: ٨٠).

٣٠- مدارج السالكين: (١٠٠/١) .

شبكة الألوكة www.alukah.net

المطلب الرابع: بيان أهل العلم وأئمة التفسير رحمهم الله حول قال تعالى:

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ﴾ . (الذاريات:٥٦)

وفي ضوء بيان أهل العلم وأئمة التفسير رحمهم الله حول آية الذاريات يتبين:

١- أن الحكمة والغاية المحمودة التي خلق الله تعالى الخلق من أجلها هي العبادة.

قال ابن سعدي(ت: ١٣٧٦هـ) – رحمه الله –:

"هذه الغاية التي خلق الله الجن والإنس لها وبعث جميع الرسل يدعون إليها، وهي عبادته المتضمنة لمعرفته ومحبته والإنابة إليه والإقبال عليه والإعراض عما سواه، وكلما ازداد العبد معرفة بربه كانت عبادته أكمل، فهذا الذي خلق الله تعالى المكلفين لأجله، فما خلقهم لحاجة منه إليهم." (٣١)

٢- وأن الله خلقهم وهو غني عنهم مع فقرهم إلى خالقهم.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (فاطر:١٥)

يقول الفخر الرازي (ت: ٦٠٦هـ) – رحمه الله– فيقول:

" فلا يأمركم بالعبادة لاحتياجه إليكم، وإنما هو لإشفاقه عليكم" (٣٢)

٣- وأن العبادة هي: الخضوع والذل والانقياد.

٤- وأن عبودية القهر والغلبة تشمل كل الخلق مؤمنهم وكافر.

قال القرطبي (ت: ٦٧١هـ) – رحمه الله –:

" قوله تعالى: ﴿ٱعْبُدُواْ﴾ أمر بالعبادة له، والعبادة هنا عبارة عن توحيده والتزام شرائع دينه، وأصل العبادة الخضوع والتذلل، يقال: طريق معبّدة إذا كانت موطوءة بالأقدام... والعبادة الطاعة، والتعبد التنسّك ". (٣٣)

٥- وأن العبادة التي هي التوحيد، هي عبودية الاختيار، التي لا يُوفق لها إلا من اصطفاه الله تعالى من عباده المؤمنين.

٦- وأن التكليف بالعبودية لا ينفك عن العبد أبدًا حتى الممات.

كما قال الله تعالى لنبيه – صلى الله عليه وسلم –: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾ (الحجر: ٩٩)، واليقين هو الموت.

٣١- تفسير ابن سعدي: (١٨١/٧) . تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ) المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠ م عدد الأجزاء: ١ .

٣٢- التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب- للفخر الرازي- تفسير سورة فاطر « قوله تعالى يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد: (ص: ٢٣) .

٣٣- تفسير القرطبي: (٢٢٥/١-٢٢٦).

شبكة الألوكة www.alukah.net

قال الإمام ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) **– رحمه الله–:**

"قال الله تعالى لرسوله– صلى الله عليه وسلم –: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ (الحجر ٩٩)، وقال أهل النار: ﴿وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ﴾ (المدثر ٤٦–٤٧)، وفي الصحيح في قصة عثمان بن مظعون رضي الله عنه أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: "أما عثمان فقد جاءه اليقين من ربه" (٣٤) أي الموت وما فيه، فلا ينفك العبد من العبودية ما دام في دار التكليف، ومن زعم أنه يصل إلى مقام يسقط عنه فيه التعبد فهو زنديق كافر بالله ورسوله، وإنما وصل لمقام الكفر بالله والانسلاخ من دينه، بل كلما تمكن العبد في منازل العبودية كانت عبوديته أعظم، والواجب عليه منها أكبر وأكثر من الواجب على من دونه، ولهذا كان الواجب على رسول الله– صلى الله عليه وسلم – بل على جميع الرسل أعظم من الواجب على أممهم، والواجب على أولي العزم أعظم من الواجب على من دونهم، والواجب على أولي العلم أعظم من الواجب على من دونهم، وكل أحد بحسب مرتبته" (٣٥).

وكلام ابن القيم – رحمه الله – حول معنى اليقين يبين حقيقة العبودية التي لا تنفك عن العبد أبدًا، ومن يسموا أنفسهم بأهل الوجد من المتصوفة ونحوهم، يدعي رؤوسهم أنهم من شدة عبادتهم قد رُفِعَ عنهم التكليفُ.

ثم عرج – رحمه الله – على مقام العبودية وأن العبد كلما تمكن في منازل العبودية كانت عبوديته أعظم، وكلما ارتفع قدر العبد علمًا ومنزلة ومكانة، كانت عبوديته أعظم وآكد، كعبودية المرسلين وعبودية أولي العزم منهم، وعبودية ورثة الأنبياء من العلماء الربانيين.

٧– وأن المؤمن يعبد الله في الشدة والرخاء، وأما الكافر فلا يعبد الله إلا في الشدائد، كما قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ (العنكبوت: ٦٥).

٣٤– وأصل الحديث رواه البخاري ونسوقه بسنده: قال الإمام البخاري رحمه الله تعالى : حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ حَدَّثَنَا اللَّيْثُ عَنْ عُقَيْلٍ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، قَالَ : أَخْبَرَنِي خَارِجَةُ بْنُ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، أَنَّ أُمَّ العَلاَءِ، امْرَأَةً مِنَ الأَنْصَارِ بَايَعَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْبَرَتْهُ: " أَنَّهُ اقْتُسِمَ المُهَاجِرُونَ قُرْعَةً فَطَارَ لَنَا عُثْمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ، فَأَنْزَلْنَاهُ فِي أَبْيَاتِنَا، فَوَجِعَ وَجَعَهُ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ، فَلَمَّا تُوُفِّيَ وَغُسِّلَ وَكُفِّنَ فِي أَثْوَابِهِ، دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَقُلْتُ: رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْكَ أَبَا السَّائِبِ، فَشَهَادَتِي عَلَيْكَ: لَقَدْ أَكْرَمَكَ اللَّهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « وَمَا يُدْرِيكِ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَكْرَمَهُ »؟.

فَقُلْتُ: بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَمَنْ يُكْرِمُهُ اللَّهُ؟ فَقَالَ: «أَمَّا هُوَ فَقَدْ جَاءَهُ اليَقِينُ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرْجُو لَهُ الخَيْرَ، وَاللَّهِ مَا أَدْرِي، وَأَنَا رَسُولُ اللَّهِ، مَا يُفْعَلُ بِي» قَالَتْ: فَوَ اللَّهِ لاَ أُزَكِّي أَحَدًا بَعْدَهُ أَبَدًا ." رواه البخاري: (١٢٤٣) باب – الدخول على الميت بعد الموت إذا أُدرج في أكفانه–كتاب الجنائز و(٢٦٨٧) باب _ القرعة في المشكلات –و (٣٩٢٩) باب–مقدم النبي صلى الله عليه وسلم –و (٧٠٠٣) باب –رؤيا النساء –و (٧٠١٨) باب –العين الجارية في المنام – كتاب التعبير.

٣٥–(مدارج السالكين ١/١٠٣–١٠٤).

شبكة الألوكة www.alukah.net

٨- أن العبودية مع كون مضمونها الذل والخضوع والافتقار فهي متضمنة لأعلى مقامات العبد، فهي المنزلة الرفيعة السامية العالية التي ارتضاها الله لأشرف خلقه - صلى الله عليه وسلم-، وارتضاها هو - صلى الله عليه وسلم - لنفسه حيث يقول: (لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم، فإنما أنا عبد فقولوا: عبد الله ورسوله)". (٣٦)

المبحث الثاني: العلاقة بين منزلتي "العبودية والاستعانة"، وأقسام الناس فيهما

وفيه مطالب:

المطلب الأول: مفهوم الاستعانة في اللغة

الاستعانة في اللغة: مصدر استعان، وهي: طلب العون، من أعان يعين إعانة، فهو مُعين، وعَوين ومِعوان، يُقال :تعاونَ القوم، إذا أعانَ بعضُهم بعضًا، والاسم :العَون، والمعُونة والعون :الظهير على الأمر، يقال :استعنت بفلان فأعانني وعاونني. (٣٧)

قال تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ (البقرة :٤٥).

والعون: الظهير على الأمر، الواحد والاثنان، والجمع والمؤنث فيه سواء، وقد حُكِيَ في تكسيره "أعوان".

والمعونة: الإعانة، ورجل معوان حسن المعونة، وحسن المعونة للناس، وكل شيء أعنك فهو عون لك، كالصوم عون على العبادة. (٣٨)

ومن هنا يتبين أن الاستعانة في لسان العرب تأتي بمعنى المعونة على الشيء.

المطلب الثاني مفهوم الاستعانة في الشرع

يقول الباحث:

بالتأمل والنظر والمقارنة بين تعريف الاستعانة ومفهومها في لسان العرب، وبين تعريفها عند الفقهاء والأصوليين نجد التقارب في المعنى.

ومن هنا يمكن أن يُقال إن:

الاستعانة بالله في الشرع هي: سؤال العبدِ ربَه الإعانةَ على صلاح أمره في معاشه ومعاده.

أو هي: استعانةُ العبدِ بالله على صلاح أمر دينه ودنياه.

وأما الاستعانة بالمخلوق: فلا تكون إلا فيما يقدر عليه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) - رحمه الله -:

٣٦- أخرجه البخاري (٣٤٤٥) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

٣٧ - يُنظر: لسان العرب، مادة: عون، والمعجم الوسيط، ٢/ ٦٣٨.

٣٨- يُنظر: مختار الصحاح، الرازي ص٢٢٢، لسان العرب، ابن منظور ٣١٧٩/٥، تاج العروس، الزبيدي ٤٢٩/٣٥، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ٦٣٨/٢.

شبكة الألوكة www.alukah.net

الاستعانة: طلب العون من الله، ويطلب من المخلوق ما يقدر عليه من الأمور. (٣٩)

المطلب الثالث: أنواع الاستعانة

أنواع الاستعانة:

والأمور التي يطلب العبدُ العونَ فيها نوعان:

أما النوع الأول: فطلب العون فيما لا يقدر عليه إلا الله وحده

ومن ذلك: تيسر الأمور من شفاء الأمراض وسعة الأرزاق، وصلاح الأحوال وتيسير الأمور، وطلب الذرية .

ومن ذلك– أيضًا– طلب هداية التوفيق إلى الطريق الصراط المستقيم والثبات عليه، وطلب مغفرة الذنوب ومحو السيئات والعفو عن الخطيئات، وطلب النجاة في الآخرة من عذاب الجحيم، ودخول الجنة دار النعيم.

فهذه الأمور وأمثالها لا تُطلب إلا من الله، لأنها مما لا يقدر عليها إلا الله، وهي عبادة محضة، وطلبها من غير الله يُعد من صَرْفِ العبادةِ لغير الله، وصَرْفُ العبادةِ لغير الله شرك والعياذ بالله.

وأما النوع الثاني: فطلب العون من البشر فيما يقدرون عليه

ويندرج تحت ذلك: كل طلب في مقدور الإنسان القيام به، كطلب أي صناعة ممن يحسنها ويتقنها والاستعانة به على قضائها لأنها في مقدور البشر، كطلب معالجة الداء ووصف الدواء من الطبيب المختص، مع الاعتقاد بأن الشفاء بيد الله وحده، وكطلب التعليم من المعلم، وطلب تشيد البناء من ممن يحسنه ويجيده، وطلب الزراعة من المزارع، وطلب حمل المتاع ممن يقدر على حمله، وغير ذلك مما هو في مقدور البشر.

---

٣٩ – مجموع الفتاوى: (١٠٣/١).

شبكة الألوكة www.alukah.net

المبحث الثالث: العلاقة بين منزلتي "العبودية والاستعانة"، وأقسام الناس فيهما

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مكانة العبودية والاستعانة وتحقيق التلازم بينها

قال تعالى في مستهل افتتاح القرآن في فاتحة الكتاب: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (الفاتحة: ٥).

وهذه الآية تُعَدُ من أجمع الآيات التي جمعت بين منزلتي العبادة والاستعانة ليبين الله لعباده أن تحقيق العبودية –عبادة واستعانة– والتلازم بينهما– هي الغاية من وجود الخلق.

وإنما قدم المعمول في ﴿إِيَّاكَ﴾ ليفيد حصر العبودية والاستعانة واختصاصها بالخالق وحده جل في علاه دون سواه، فلا يُعْبد إلا إياه ولا يستعان إلا به.

وتقديم العبادة على الاستعانة: من باب تقديم العام على الخاص، ومن باب تقديم حق الخالق العظيم الغني– سبحانه– عن خلقه من كل الوجوه، على حق المخلوق الضعيف الفقير إلى ربه وإلى معونته من كل الوجوه.

والعبادة والاستعانة: "هُمَا الْكَلِمَتَانِ الْمَقْسُومَتَانِ بَيْنَ الرَّبِّ وَبَيْنَ عَبْدِهِ نِصْفَيْنِ، فَنِصْفُهُمَا لَهُ تَعَالَى، وَهُوَ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ وَنِصْفُهُمَا لِعَبْدِهِ وَهُوَ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ . (٤٠)

الاستعانة تدخل في مسمى العبادة: وإذا تأملنا في تعريف شيخ الإسلام للعبادة بأنه: "اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة"(٤١) لوجدنا أن الاستعانة تدخل في مسمى العبادة، وقد أُفْرِدَت الاستعانةُ هنا عن العبادة في هذا المقام وذكرت معها؛ لكونها وسيلة وطريق مؤد إليها.

وفي بيان فضلها وعظيم منزلتها يقول ابنُ القيّم (ت: ٧٥١هـ) – رحمه الله–:

حَتَّى قِيلَ: أَنْزَلَ اللَّهُ مِائَةَ كِتَابٍ وَأَرْبَعَةَ كُتُبٍ، جَمَعَ مَعَانِيَهَا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ، وَجَمَعَ مَعَانِيَ هَذِهِ الْكُتُبِ الثَّلَاثَةِ فِي الْقُرْآنِ، وَجَمَعَ مَعَانِيَ الْقُرْآنِ فِي

الْمُفَصَّلِ(٤٢)، وَجَمَعَ مَعَانِيَ الْمُفَصَّلِ فِي الْفَاتِحَةِ، وَمَعَانِيَ الْفَاتِحَةِ فِي ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (الفاتحة: ٥). (٤٣)

---

٤٠ – مدارج السَّالكين: (٩٥/١) .

٤١– مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية – ١٤٩/١٠، الموسوعة الفقهية: (٢٥٦/٢٩).

٤٢ – والمفصل هو ما يلي المثاني من قصار السُّور إلى آخر القرآن، وَهو: مِنَ الْحُجُرَاتِ إِلَى آخِرِ الْقُرْآنِ عَلَى الصَّحِيحِ، وسمِّي بالمفصَّل لكثرة الفصل بين سوره بالبسملة، وقيل: لقلّة المنسوخ منه، ولهذا يسمّى بالمحكم أيضًا، كما روى أحمد في المسند: (٢٢٨٣) بسند صحيح عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ– رضي الله عنهما، قَالَ: (إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَهُ الْمُفَصَّلَ هُوَ الْمُحْكَمُ)، ورواه البخاري في صحيحه: (٥٠٣٥) ولكن جعله من كلامِ ابنِ جبير–رحمه الله.–

شبكة الألوكة www.alukah.net

وقد جمعت هذه الآية على وجازتها من الفوائد دررًا، ومن البلاغة كنوزًا، وسنشير إلى شيء من ذلك:

أولًا: السرُّ في تقديم ما حقُّه التَّأخير.

فقد قُدِّم المفعولُ على الفعل في الآية وهذا فيه ثلاث فوائد(٤٤):

الأولى: فيه أَدَبُ العِبَادِ مَعَ اللَّهِ بِتَقْدِيمِ اسْمِهِ عَلَى فِعْلِهِمْ.

الثَّانية:فِيهِ الِاهْتِمَامُ وَشِدَّةُ الْعِنَايَةِ بِهِ.

الثَّالثة:فِيهِ الْإِيذَانُ بِالِاخْتِصَاصِ، الْمُسَمَّى بِالْحَصْرِ، فَهُوَ فِي قُوَّةِ: لَا نَعْبُدُ إِلَّا إِيَّاكَ، وَلَا نَسْتَعِينُ إِلَّا بِكَ.

ثانيًا: السرُّ في تقديم العبادة على الاستعانة.

ذكر أهل العلم عدَّة حكم منها(٤٥):

١- تَقْدِيمُ الْعِبَادَةِ عَلَى الِاسْتِعَانَةِ فِي الْفَاتِحَةِ مِنْ بَابِ تَقْدِيمِ الْغَايَاتِ عَلَى الْوَسَائِلِ، إِذِ الْعِبَادَةُ غَايَةُ الْعِبَادِ الَّتِي خُلِقُوا لَهَا، وَ الِاسْتِعَانَةُ وَسِيلَةٌ إِلَيْهَا.

٢- وَلِأَنَّ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ مُتَعَلِّقٌ بِأُلُوهِيَّتِهِ وَاسْمِهِ (اللَّهِ)، ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ مُتَعَلِّقٌ بِرُبُوبِيَّتِهِ وَاسْمِهِ (الرَّبِّ)، فَقَدَّمَ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ عَلَى ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، كَمَا قَدَّمَ اسْمَ (اللَّهِ) عَلَى (الرَّبِّ) فِي أَوَّلِ السُّورَةِ .

٣- وَلِأَنَّ الْعِبَادَةَ الْمُطْلَقَةَ تَتَضَمَّنُ الِاسْتِعَانَةَ مِنْ غَيْرِ عَكْسٍ، فَكُلُّ عَابِدٍ لِلَّهِ عُبُودِيَّةً تَامَّةً مُسْتَعِينٌ بِهِ وَلَا يَنْعَكِسُ، لِأَنَّ صَاحِبَ الْأَغْرَاضِ وَالشَّهَوَاتِ قَدْ يَسْتَعِينُ بِهِ عَلَى شَهَوَاتِهِ، فَكَانَتِ الْعِبَادَةُ أَكْمَلَ وَأَتَمَّ .

٤- وَلِأَنَّ الِاسْتِعَانَةَ جُزْءٌ مِنِ الْعِبَادَةِ مِنْ غَيْرِ عَكْسٍ (٤٦).

٥- وَلِأَنَّ الِاسْتِعَانَةَ طَلَبٌ مِنْهُ، وَالْعِبَادَةَ طَلَبٌ لَهُ.

٦- وَلِأَنَّ الْعِبَادَةَ لَا تَكُونُ إِلَّا مِنْ مُخْلِصٍ، وَالِاسْتِعَانَةَ تَكُونُ مِنْ مُخْلِصٍ وَمِنْ غَيْرِ مُخْلِصٍ .

ثالثًا: السرُّ في إعادة العامل ﴿إِيَّاكَ﴾ وعدمِ الاكتفاء بالعطف.

التَّكرارُ يفيد التَّنْصيصَ على حصرِ الاستعانة به كذلك مثلَ العبادة، فلو اقتصرنا على ضمير واحد (إيَّاك نعبد ونستعين) لم يفهم حصر المستعان إنَّما حصْرُ المعبود فقط. ففِي إِعَادَةِ ﴿إِيَّاكَ﴾ مَرَّةً أُخْرَى دَلَالَةٌ عَلَى تَعَلُّقِ هَذِهِ الْأُمُورِ بِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْفِعْلَيْنِ، فَفِي إِعَادَةِ الضَّمِيرِ مِنْ قُوَّةِ الِاقْتِضَاءِ لِذَلِكَ مَا لَيْسَ فِي حَذْفِهِ،

٤٣- وهذ الأثر قد عزاه غير واحد من أهل العلم ونسبه للحسن البصري، منهم: شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٧/١٤)، وابن عادل الحنبلي في: اللباب في علوم الكتاب (١٦٤/١)، والفخر الرازي في تفسيره: مفاتيح الغيب: (١٦٠/١).

٤٤ - مدارج السَّالكين: (٩٨/١).

٤٥- المرجع السابق: (٩٧/١).

٤٦ - قال شيخ الإسلام - رحمه الله-: (والتَّوَكُّل هُوَ الِاسْتِعَانَة وَهِي من عبَادَة الله لَكِن خصّت بِالذكر ليقصدها المتعبد بخصوصها فَإِنَّهَا هِيَ العون على سَائِر أَنْوَاع الْعِبَادَة إِذْ هُوَ سُبْحَانَهُ لَا يُعبد إِلَّا بمعونته). العبودية: (٧٥).

شبكة الألوكة www.alukah.net

فَإِذَا قُلْتَ لِمَلِكٍ مَثَلًا: (إِيَّاكَ أُحِبُّ، وَإِيَّاكَ أَخَافُ)، كَانَ فِيهِ مِنَ اخْتِصَاصِ الْحُبِّ وَالْخَوْفِ بِذَاتِهِ وَالِاهْتِمَامِ بِذِكْرِهِ، مَا لَيْسَ فِي قَوْلِكَ: (إِيَّاكَ أُحِبُّ وَأَخَافُ) (٤٧).

رابعًا: السرُّ في إطلاق الاستعانة وعدمِ تقييدها بالمفعول.

أطلق سبحانه فعل الاستعانة ولم يحدد نستعين على شيء أو نستعين على طاعة أو غيره إنما أطلقها لتشمل كل شيء وليست محددة بأمر واحد من أمور الدّنيا أو الآخرة، والمعنى: إيّاك نستعين يا الله على عبادتنا، وعلى أعمالنا، وعلى دراستنا، وعلى تربية أبنائنا، وعلى خدمة ديننا، وعلى نصرة شريعتنا، وعلى كلّ صغيرة وكبيرة في أمور دنيانا وأخرانا، لأنَّ حذف المعمول يؤذن بالعموم (٤٨).

المطلب الثاني: أقسام الخلق في منازل" إياك نعبد وإياك نستعين"

إذا علم هذا فلا بدَّ أن يُعلم بأنَّ النَّاسَ في هذين الأصلين – وهما العبادة والاستعانة– أربعةُ أقسام(٤٩):

القسم الأوَّل: المؤمنون المتَّقون الذين جمعوا بين الأمرين

فهم يعبدونَ الله ويستعينُون به، وهؤلاء قامت جوارحُهم بالأسباب واعتمد قلبُهم على مسبِّبِ الأسباب – سبحانه وتعالى– فَعِبَادَةُ اللَّهِ غَايَةُ مُرَادِهِمْ، وَطَلَبُهُمْ مِنْهُ أَنْ يُعِينَهُمْ عَلَيْهَا، وَيُوَفِّقَهُمْ لِلْقِيَامِ بِهَا، وَلِهَذَا كَانَ مِنْ أَفْضَلِ مَا يُسْأَلُ الرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الْإِعَانَةُ عَلَى مَرْضَاتِهِ، وَهُوَ الَّذِي عَلَّمَهُ النَّبِيُّ– ﷺ –لِحِبِّهِ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ –رضي الله عنه–، فَقَالَ» يَا مُعَاذُ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ، فَلَا تَنْسَ أَنْ تَقُولَ دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ (٥٠).

فَأَنْفَعُ الدُّعَاءِ طَلَبُ الْعَوْنِ عَلَى مَرْضَاتِهِ، وَأَفْضَلُ الْمَوَاهِبِ إِسْعَافُهُ بِهَذَا الْمَطْلُوبِ، وَجَمِيعُ الْأَدْعِيَةِ الْمَأْثُورَةِ مَدَارُهَا عَلَى هَذَا، وَعَلَى دَفْعِ مَا يُضَادُّهُ، وَعَلَى تَكْمِيلِهِ وَتَيْسِيرِ أَسْبَابِهِ، فَتَأَمَّلْهَا.

---

٤٧ – مدارج السَّالكين: (٩٩/١).

٤٨– البحر المحيط في أصول الفقه، للزركشي(٢٢١/٤)، البحر المحيط في أصول الفقه المؤلف: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ) الناشر: دار الكتبي الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م عدد الأجزاء: ٨.، ومناهل العرفان للزرقاني(١٣٣/١). مناهل العرفان في علوم القرآن المؤلف: محمد عبد العظيم الزُّرْقاني (المتوفى: ١٣٦٧هـ) الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه الطبعة: الطبعة الثالثة عدد الأجزاء: ٢ .، وجواهر البلاغة للهاشمي(١٥٦)، ويُنظر: الدِّينُ كُلُّهُ مَبْنِيٌّ عَلَى عِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ وَالاسْتِعَانَةِ بِهِ وَحْدَهُ، مصطفى قاليه، عن موقع التصفية والتربية، بتاريخ: ٢٠١٢/٥/٣١م.

٤٩– التّدمرية: (٢٣٤–٢٣٥)، ومجموع الفتاوى: (١٢٤/٣) وما بعدها، ومدارج السَّالكين(٩٩/١) وما بعدها، وأعلام الموقعين: (١٢٣/٢).

٥٠– رواه أحمد: (٢٢١١٧)، وأبو داود: (١٥٢٢)، والنسائي:(١٣٠٣) من حديث معاذ بن جبل، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح: (٩٤٩).

شبكة الألوكة www.alukah.net

وَقَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ (ت: ٧٢٨هـ) **– قَدَّسَ اللَّهُ رُوحَهُ –:**

تَأَمَّلْتُ أَنْفَعَ الدُّعَاءِ فَإِذَا هُوَ سُؤَالُ الْعَوْنِ عَلَى مَرْضَاتِهِ، ثُمَّ رَأَيْتُهُ فِي الْفَاتِحَةِ فِي ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (الفاتحة: ٥) (٥١).

وحالة المتوكّل على الله تشبه حَالَةَ الطِّفْلِ مَعَ أَبَوَيْهِ فِيمَا يَنْوِيهِ مِنْ رَغْبَةٍ وَرَهْبَةٍ...، فَانْظُرْ فِي تَجَرُّدِ قَلْبِهِ عَنِ الِالْتِفَاتِ إِلَى غَيْرِ أَبَوَيْهِ، وَحَبْسِ هَمِّهِ عَلَى إِنْزَالِ مَا يَنْوِيهِ بِهِمَا، فَهَذِهِ حَالُ الْمُتَوَكِّلِ، وَمَنْ كَانَ هَكَذَا مَعَ اللَّهِ فَاللَّهُ كَافِيهِ وَلَا بُدَّ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ (الطلاق: ٣) أَيْ كَافِيهِ. (٥٢)

تنبيه: قال شيخنا الفقيه العلامة ابنُ عثيمين(ت: ١٤٢١هـ) **– رحمه الله–:**

وأعلى المراتب: الأولى، أن تجمع بين العبادة والاستعانة. ولننظر في حالنا الآن –وأنا أتكلَّمُ عن حالي– دائما نغلِّب جانب العبادة، فتجد الإنسان يتوضّأ وليس في نفسه شعورٌ أنْ يستعينَ اللهَ على وضوئِه، ويصلّي وليس في نفسه شعورٌ أنْ يستعينَ اللهَ على الصَّلاة وأنَّه إنْ لَمْ يُعِنْهُ ما صلَّى؛ ... فإذا صلَّيتَ – مثلاً – وشعرتَ أنَّك تصلّي لكن بمعونةِ الله وأنَّه لولا معونةُ الله ما صلَّيتَ، وأنَّك مفتقرٌ إلى اللهِ أن يعينَكَ حتَّى تصلّيَ وتتمَّ الصَّلاةَ، حَصَّلْتَ عبادتين: الصَّلاةَ والاستعانةَ... (٥٣).

القسم الثَّاني: من لا عبادةَ ولا استعانةَ لهم

وهؤلاء هم الملحدون من المادّيين والعقلانيّين–والعياذُ بالله–(٥٤)، وهؤلاء وقعوا في الشّرك لأنَّهم أثبتُوا مُوجدًا مع الله مستقلاً بالضّر والنّفع، وهذا باطل مخالف للكتاب والسّنّة والإجماع، كما أنّ الأسباب قد تتخلَّف عن مسبّباتها بإذن الله كما يشهد لذلك الحسُّ؛ والواحدُ من هؤلاء إن استعان بالله وسأله، فعلى حظوظه وشهواته، لا على مرضاة ربّه وحقوقه، واللهُ سُبْحَانَهُ يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَسْأَلُهُ أَوْلِيَاؤُهُ وَأَعْدَاؤُهُ وَيَمُدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ، وَأَبْغَضُ خَلْقِهِ عَدُوُّهُ إِبْلِيسُ وَمَعَ هَذَا فَقَدْ سَأَلَهُ حَاجَةً فَأَعْطَاهُ إِيَّاهَا، وَمَتَّعَهُ بِهَا، وَلَكِنْ لَمَّا لَمْ تَكُنْ عَوْنًا لَهُ عَلَى مَرْضَاتِهِ، كَانَتْ زِيَادَةً لَهُ فِي شِقْوَتِهِ، وَبُعْدِهِ عَنِ اللَّهِ وَطَرْدِهِ

٥١– مدارج السَّالكين: (١/١٠٠).

٥٢–المرجع السابق: (١/١٠٣).

٥٣– شرح الأصول من علم الأصول: (١٩٠–١٩١). شرح الأصول من علم الأصول المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين: (المتوفى: ١٤٢١ هـ)، الناشر: دار ابن الجوزي الطبعة: الرابعة، ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م عدد الأجزاء: ١.

٥٤– المرجع السابق: (١٩١).

شبكة الألوكة www.alukah.net

عَنْهُ(٥٥)، وَهَكَذَا كُلُّ مَنِ اسْتَعَانَ بِهِ عَلَى أَمْرٍ وَسَأَلَهُ إِيَّاهُ، وَلَمْ يَكُنْ عَوْنًا عَلَى طَاعَتِهِ كَانَ مُبْعِدًا لَهُ عَنْ مَرْضَاتِهِ، قَاطِعًا لَهُ عَنْهُ وَلَا بُدَّ (٥٦).

القسم الثَّالث: من لهم نوعُ عبادةٍ بلاَ استعانةٍ

فحظُّهم ناقصٌ من التَّوكلِ والاستعانةِ به، ولهؤلاء من الخُذلانِ والضّعفِ والعجزِ بحسَبِ قلَّةِ استعانتِهم وتوكُّلهم،

وَهَؤُلَاءِ نَوْعَانِ:

أَحَدُهُمَا: من نفى تأثير الأسباب بالكليَّة: وهم القدريَّة الجبْرية، الذين جعلوا العبد مجبورًا على أفعاله، وأنَّ حركاته جميعا حركات اضطراريَّة كالورقة في مهبِّ الرِّيح، وهؤلاء يرون أنَّ الأسباب لا تأثير لها في مسبِّباتها، فالله لم يجعل في الأسباب قُوَى وطبائعَ تؤثِّر، وهذا الموقف فاسد باطل مخالف للكتاب والسنَّة والإجماع.

وقد وصف العلماء هذا القول بأنّه (قدح في العقل).

النَّوْعُ الثَّانِي: من أعرض عن الأسباب بالكليّة: كحال غالب الصُّوفيَّة، فهم لا يرون تحقيق التَّوكُّلِ إلَّا في ترك الأسباب بالكليَّة، فتركوا التَّكسُّب والعمل والاحتراز والاحتياط والتَّزوُّد في السَّفر والطَّعام، ويرون ذلك كلَّه منافياً للتَّوكُّل، ولهم شبه ضعيفة أجاب عنها العلماء. وقد وصف العلماء هذا القول بأنّه (قدح في الشَّرع).

فَهَؤُلَاءِ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ التَّوْفِيقِ وَالنُّفُوذِ وَالتَّأْثِيرِ، بِحَسَبِ اسْتِعَانَتِهِمْ وَتَوَكُّلِهِمْ، وَلَهُمْ مِنَ الْخُذْلَانِ وَالضَّعْفِ وَالْمَهَانَةِ وَالْعَجْزِ بِحَسَبِ قِلَّةِ اسْتِعَانَتِهِمْ وَتَوَكُّلِهِمْ (٥٧).

القسم الرَّابع: من عندهم استعانةٌ بلا عبادة

وهؤلاء استعانوا بربِّهم، لكن ما استعانوا به على العبادة، وإنما استعانوا به على الدِّرهم والدِّينار، واستعانوا به على الدُّنيا، والواحد منهم قد شَهِدَ تَفَرُّدَ اللَّهِ بِالنَّفْعِ وَالضُّرِّ، وَأَنَّهُ مَا شَاءَ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، وَلَمْ يَدُرْ مَعَ مَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ، فَتَوَكَّلَ عَلَيْهِ، وَاسْتَعَانَ بِهِ عَلَى حُظُوظِهِ وَشَهَوَاتِهِ وَأَغْرَاضِهِ، وَطَلَبَهَا مِنْهُ، وَأَنْزَلَهَا بِهِ، فَقُضِيَتْ لَهُ، وَأُسْعِفَ بِهَا، سَوَاءٌ كَانَتْ أَمْوَالًا أَوْ رِيَاسَةً أَوْ جَاهًا عِنْدَ الْخَلْقِ، أَوْ أَحْوَالًا مِنْ كَشْفٍ

---

٥٥ – يقول الله سبحانه: (مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا) (الإسراء: ١٨-٢٠).

٥٦- مدارج السَّالكين: (١/١٠٠).

٥٧- مدارج السَّالكين: (١/١٠٢-١٠٣).

شبكة الألوكة www.alukah.net

وَتَأْثِيرٍ وَقُوَّةٍ وَتَمْكِينٍ، وَلَكِنْ لَا عَاقِبَةَ لَهُ، فَإِنَّهَا مِنْ جِنْسِ الْمُلْكِ الظَّاهِرِ، وَالْأَمْوَالُ لَا تَسْتَلْزِمُ الْإِسْلَامَ، فَضْلًا عَنِ الْوِلَايَةِ وَالْقُرْبِ مِنَ اللَّهِ(٥٨).

ولعل في هذا كفاية، والحمد لله رب العالمين.

خاتمة البحث، وبيان أهم النتائج التي توصلت لها تلك الدراسة المختصرة:

أ- خاتمة البحث

في ختام البحث يحمد الباحثُ ربَه العظيم ربَ العرش الكريم على ما تفضل به وامتن على عبده الضعيف الفقير في كل أحواله إلى عونه وتوفيقه من إتمام بحثه، راجيًا أن يكون قد وفق لاتباع سبيل المؤمنين في بيان مدارج السالكين في منازل

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (٥: الفاتحة).

ب- بيان أهم النتائج التي توصلت لها تلك الدراسة المختصرة:

توصلت تلك الدراسة المختصرة لنتائج جمة ولعل من أبرزها ما يلي:

١- أن هذا الدين مبني على ركنين عظيمين متلازمين لا ينفك أحدهما عن الآخر، هما العبادة – والاستعانة

٢- أنه لا يصح إيمان عبد ولا يكتمل ولا يتم إلا بتحقق العبودية المبنية على المذلة والافتقار

٣- **أن العبودية قسمان:**

إحداهما: عبودية اختيار وانقياد، وهي خاصة بعباد الله المؤمنين وأوليائه الصالحين، وهم من أقبلوا إلى ربهم طائعين، وخضعوا لكبريائه وعظمته مختارين

والثانية: عبودية غلبة وقهر وملك، وهي التي لا ينفك عنا مخلوق، فمن لم يأت ربَه عبدًا طائعًا مختارًا، فقد قهره الله غلبة وقهرًا وملكًا

٤- أن الله تعالى خلق الخلق لمهمة عظيمة وغاية جليلة حصرها في محكم كتابه بقوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ﴾. (الذاريات:٥٦) ومعنى يعبدون أي: يوحدون، ذلك لأن العبادة لا تسمى عبادة إلا مع التوحيد ولا تصح ولا تقبل من مخلوق إلا به، فوجب علي الخلق أجمعين إفراد خالقهم ومربيهم – سبحانه – بالعبادة، ونبذ عبادة كل ما سواه من المخلوقين

٥- إذا علم أولوا الألباب مدارج السالكين في منازل ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (٥: الفاتحة) وجب عليهم تحقيق العبودية بركنيها والمسارعة إليها والتنافس فيها رغبًا ورهبًا، وخوفًا وطمعًا، يرجون رحمة ربهم ويخشون عذابه، كما يلزم من تلك المسارعة والمسابقة عدم التقاعد والتقاعس والتخاذل عن بذل أسباب

٥٨- المرجع السابق: (١٠٣/١).

شبكة الألوكة www.alukah.net

تحقيقها، بل عليهم بذل أسباب الثبات عليها عملًا بقول ربنا: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ (الحجر: ٩٩)

٦- أن من لوازم تحقيق العبودية بركنيها تحقيق كمال التوكل على الله بالاستعانة به وحده سبحانه وإظهار الافتقار والمذلة له سبحانه، وإظهار الفاقة والفقر إليه في كل الأحوال، في الشدة، والرخاء، في العسر واليسر

٧- أن من توكَّل على الله في كل أحيانه وأحواله فحري به أن يتولاه الله برحمته التي وسعت كل شيء

٨- أن على الباحثين المختصين واجب عظيم وأمانة كبرى في العناية بجانب العقيدة وإثرائها بالبحث والدراسة في كل ما يكتبونه ويتناولونه، ولا سيما فيما يتعلق بلبها وأساسها وركنها الركين - عبودية، واستعانة، فإن فكاك الرقاب من النار منوط بتحقيق التوحيد الذي هو حق الله في رقاب جميع العبيد، كما يجب عليهم التحذير من نواقضه وما يضاده من الشرك، مع وجوب العناية بلزوم الحث على التمسك بالكتاب والسنة والسير على نهج سلف الأمة – عقيدة، وشريعة، ومنهاجًا-، والتحذير من البدع والمحدثات، لأن الكلمة أمانة، والعلم أمانة، وإيضاح سبل السلام التي بها تنال سعادة الدنيا والآخرة أمانة، والتحذير من أسباب الردى والهلاك أمانة.

والحمد لله رب العالمين.

أملاه

العبد الضعيف الفقير إلى عفو ربه ومغفرته

عَرَفةُ بْنُ طَنْطَاوِيّ

وانتهى من تبيضه في

الرياض في:١٢ / ٦ /١٤٤٣هـ

البريد: arafatantawy@hotmail.com- واتساب: ٠٠٩٦٦٥٠٣٧٢٢١٥٣

شبكة الألوكة www.alukah.net

مجموع الفهارس

أ- فهرس المراجع

١- البحر المحيط في أصول الفقه المؤلف: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ) الناشر: دار الكتبي الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م عدد الأجزاء: ٨.

٢- تفسير الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) المحقق: أحمد محمد شاكر الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م عدد الأجزاء: ٢٤ .

٣- تفسير البغوي: معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي المؤلف: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: ٥١٠هـ) المحقق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة: الرابعة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م عدد الأجزاء: ٨ .

٤- تفسير الرازي: مفاتيح الغيب = التفسير الكبير المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ .

٥- تفسير القرطبي: الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ) تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م عدد الأجزاء: ٢٠ جزءا (في ١٠ مجلدات).

٦- تفسير ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) المحقق: محمد حسين شمس الدين الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٩ هـ .

٧- تفسير ابن سعدي: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ) المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م عدد الأجزاء: ١ .

٨- رياض الصالحين المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ) الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت-الطبعة الأولى-١٤١٢هـ - تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني عدد الأجزاء: ١.

شبكة الألوكة www.alukah.net

٩- زاد المعاد في هدي خير العباد المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت الطبعة: السابعة والعشرون, ١٤١٥هـ /١٩٩٤م عدد الأجزاء: ٥.

١٠- حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، الناشر: مطبعة المدني، القاهرة، عدد الصفحات: ٤١٨.

١١- شرح الأصول من علم الأصول المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١ هـ) الناشر: دار ابن الجوزي الطبعة: الرابعة، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م عدد الأجزاء: ١.

١٢- العبودية المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ) المحقق: محمد زهير الشاويش الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت الطبعة: الطبعة السابعة المجددة ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م (هذه الرسالة مطبوعة أيضًا ضمن "مجموع الفتاوى" ١٠/١٤٩، وفي "الفتاوى الكبرى" ٥/١٥٥).

١٣- لسان العرب المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ) الناشر: دار صادر - بيروت الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ عدد الأجزاء: ١٥ .

١٤- مجموع الفتاوى المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ) المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية عام النشر: ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

١٥- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت الطبعة: الثالثة، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م عدد الأجزاء: ٢ .

١٦- مناهل العرفان في علوم القرآن المؤلف: محمد عبد العظيم الزُّرْقاني (المتوفى: ١٣٦٧هـ) الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه الطبعة: الطبعة الثالثة عدد الأجزاء: ٢ .

١٧- نونية ابن القيم. متن القصيدة النونية المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) الناشر: مكتبة ابن تيمية، القاهرة الطبعة: الثانية، ١٤١٧هـ عدد الأجزاء: ١

شبكة الألوكة www.alukah.net

ب- فهرس الموضوعات

دِيْبَاجَةُ البَحْثِ **٢**

مُلَخْصُ البَحْثِ **٩**

خِطَّةُ البَحْثِ **١٠**

منهجية البحث **١٢**

أولًا: أهمية موضوع البحث ١٢

ثانيًا: أهم الدراسات السابقة وأبرزها ١٢

ثالثًا: أسباب ودواعي اختيار موضوع البحث ١٢

رابعًا: أهداف البحث ١٣

خامسًا: منهج البحث ١٤

الفصل الأول (تقرير العبودية لله تعالى) **١٥**

المبحث الأول: مفهوم العبودية **١٥**

المطلب الأول: مفهوم العبودية في اللغة ١٥

المطلب الثاني: مفهوم العبودية في الشرع ١٦

المبحث الثاني: بيان أقسام العبودية **١٧**

المطلب الأول: القسم الأول من أقسام العبودية "عبودية الغلبة والقهر والملك" ١٧

المطلب الثاني: القسم الثاني من أقسام العبودية "عبودية الاختيار والانقياد والطاعة والمحبة".. ١٩

المبحث الثالث: بيان حقيقة العبودية **٢١**

المطلب الأول: بيان مفهوم حقيقة العبودية عند أئمة التفسير ٢١

المطلب الثاني: بيان شرطي تحقق العبودية ٢٢

المطلب الثالث: تقرير عبودية الله تعالى في سورة الفاتحة ٢٢

شبكة الألوكة www.alukah.net

الفصل الثاني **٢٤**

الدين مَبْنِيٌ على (العبودية – والاستعانة) **٢٤**

المبحث الأول: مفهوم العبودية في آيتي الفاتحة، والذاريات، ٢٤

المطلب الأول: مفهوم العبودية في قوله تعالى: (إياك نعبد...) (٤: الفاتحة) ٢٤

المطلب الثاني: مفهوم العبودية في قوله تعالى: ٢٤

المطلب الثالث: قواعد العبودية التي بنيت على قوله تعالى: ٢٥

المطلب الرابع: بيان أهل العلم وأئمة التفسير رحمهم الله حول قال تعالى: ٢٦

المبحث الثاني: العلاقة بين منزلتي "العبودية والاستعانة"، وأقسام الناس فيهما **٢٨**

المطلب الأول: مفهوم الاستعانة في اللغة ٢٨

المطلب الثاني مفهوم الاستعانة في الشرع ٢٨

المطلب الثالث: أنواع الاستعانة ٢٩

المبحث الثالث: العلاقة بين منزلتي "العبودية والاستعانة"، وأقسام الناس فيهما **٣٠**

المطلب الأول: مكانة العبودية والاستعانة وتحقيق التلازم بينهما..... ٣٠

المطلب الثاني: أقسام الخلق في منازل" إياك نعبد وإياك نستعين" ٣٢

مجموع الفهارس..... **٣٧**

أ- فهرس المراجع..... ٣٧

ب- فهرس الموضوعات..... ٣٩

شبكة الألوكة www.alukah.net

المركز في سطور

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله ومن والاه.

وبعد:

فإنَّ شرف العلم من شرف المعلوم، وشرف كل علم بشرف متعلقه، وعلوم القرآن متعلقة بأشرف كتاب ألا وهو كتاب الله تعالى، ولذا تُعدُ علومُ القرآن من أجلِّ العلوم؛ بل ومن أشرفها وأبركها وأعلاها قدرًا وأزكاها، وأعظمها أثرًا ونفعًا، والبشرية عمومًا والأمة خصوصًا لها أكثر احتياجًا على مر العصور والأزمان؛ وذلك لمسيس الحاجة لفهم معاني آي التنزيل، وإيضاح غريب ومبهم القرآن، وبيان مقاصده وأحكامه، وبيان دلائل هداياته، والجواب عن تساؤلاته، وبيان مجمل معاني آياته.

* وأهل هذا العلم نالوا شرفًا مرومًا، وعلوَ قدرٍ وشأنٍ، ورفعةَ مكانةٍ، وسموَ رتبةٍ؛ إذْ جعلَهم اللهُ مرجعًا للعباد في الدلالة على إيضاح المراد من كلامه سبحانه وتعالى، وأي شرف يعدل هذا الشرف!

* ولا شك أن هذا من أعظم الدوافع وأعظم المطالب الداعية للتنافس في بذل العمر النفيس والوقت الغالي العزيز لنيل أعظم المراتب وأشرف الأماني، وهذا مما يعين على البذل والتضحية في التنقيب والبحث في علوم القرآن بعلو همةٍ وإقبالِ نفسٍ لتحقيق تلك الرتب العالية، والفوز بالمكانة الرفيعة السامية، ونيل تلك المآرب الشريفة الغالية.

* هذا مع ما يمن الله به على من اشتغل بهذا العلم الشريف من التعلق بكتاب ربه وعمارة وقته وحياته به، ويُنزِّل الله عليه من السكينة والطمأنينة وشآبيب الرحمة، مع ما يورثه ربُهُ من انشراحٍ لصدره وطمأنينة لنفسه وتزكية لفؤاده وصلاح في معاشه، مع ما أعده له من جزيل عطائه وجزيل ثوابه في معاده، هذا مع ما يعود نفعه لعباده ببيان وإيضاح معاني تأويل كتابه والكشف عن أسرار تنزيله وبيان معاني آياته.

قال سبحانه في شأن كتابه:

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ (١٥) يَهْدِي بِهِ اللهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [المائدة: ١٥-١٦].

* ومركز تأصيل علوم التنزيل للبحوث العلمية والدراسات القرآنية يسعى لتقديم أهم مباحث علوم القرآن الكريم في ثوب قشيب وحلل زاهية بتقريب معاني تلك الدراسات وتسهيلها وتقديمها بأسلوب سهل التناول قريب المأخذ سهل المنال يتناسب مع عموم المسلمين، مع ما ينهجه في ذلك من الأسلوب العلمي وطريقة البحث المنهجي التربوي الذي يفيد الباحثين المختصين.

* كما أن من أبرز أهداف المركز وأجلّها العناية بمنهج وعقيدة أهل السنة والجماعة في كل ما يقدمه، مع تفنيد العقائد والمناهج المخالفة لمنهج الفرقة الناجية الطائفة المنصورة إلى قيام الساعة ـ أهل السنة والجماعة.

* تلك هي أبرز الدوافع الداعية لتأسيس مركز تأصيل علوم التنزيل للبحوث العلمية والدراسات القرآنية، لخوض البحث والتنقيب عن علوم القرآن وتقديمها للمسلمين عمومًا وللباحثين المختصين خصوصًا؛ وذلك لتعلقها بأشرف وأعظم وأجلّ كتاب ينبغي أن تبذل من أجل فهمه وتدبره والعمل به والتحاكم إليه والتداوي به، الهمم العوالي والمهج الغوالي والعمر النفيس الغالي.

* كما يسعى المركز فيما يقدمه من بحوث علمية بتخريج الأحاديث النبوية وعزوها لمصادرها الأصلية والحكم عليها، عدا ما كان في الصحيحين لتلقي الأمة لهما بالقبول، وتنقية البحوث من الأحاديث المكذوبة والموضوعة والضعيفة قدر الممكن والطاقة.

* كما يسعى المركز كذلك في تقديم مادة علمية خالية من البدع والمحدثات والخرافات والإسرائيليات وكل ما علق بمصنفات علوم القرآن من كل ما لا يمت بدين الله وشرعه المطهر بصلة، ومن كل ما يخالف منهج أهل السنة والجماعة عقيدةً، وشريعةً، ومنهاجًا، قدر الممكن والطاقة والإمكانات المتاحة.

المشرف العام

من إصدارات المركز

موسوعة
" تأصيل علوم التنزيل"

وَهذه ضِمْن مُؤَلَّفات العبد الضعيف الفقير إلى عَفْو رَبِّه وَرَحْمَته وَمَغْفِرته:

عرفة بن مصطاوي

عَفَا اللَّهُ عَنْهُ

الرَّئيسُ العَامُ لِمَرْكَز تَأْصِيل عُلوم التَّنْزِيل للبُحُوث العِلْمِية وَالدِّرَاسَات القُرآنِية

وها هي مرتبة على النحو التالي:

١- مَعَالِمُ التَّوْحِيدِ فِي فَاتِحَةِ الكِتَابِ. (دراسة تحليلية موضوعية)، (رسالة دكتوراه)
(مطبوع ومنشور عن دار المأثور- بالمدينة النبوية-١٤٤١هـ)

٢- عِنَايَةُ الإِسْلَامِ بِتَرْبِيَةِ الأَبْنَاءِ كَمَا بَيَّنَتْهَا سُورَةُ لُقْمَانَ، (دراسة تحليلية موضوعية) في مجلدين (رسالة ماجستير)

٣- التقرير لأصول وقواعد علم التفسير - مقرر دراسي"دراسات عليا"

٤- تعليم المتعلمين طرق ومناهج المفسرين - مقرر دراسي"دراسات عليا"

٥- المدخل الموسوعي لدراسة التفسير الموضوعي - مقرر دراسي "دراسات عليا"

٦- المنهج التأصيلي لدراسة التفسير التحليل - مقرر دراسي "دراسات عليا"

٧- دلائل التوفيق لأصح طريق لجمع الصديق - مقرر دراسي "دراسات عليا"

٨- الشُّفْعَةُ بَيْنَ الجَمْعِ العُثْمَانِيِّ وَالأَحْرُفِ السَّبْعَةِ في (مجلدين) وهذا البحث يعُد موسوعة علمية مستقلة.

٩- أَحْسَنُ المَنَاحِي فِي إِثْبَاتِ أَنَّ الرَّسْمَ العُثْمَانِي تَوْقِيفِي لَا اصْطِلَاحِي

١٠- الفتح الرباني في دلائل الإعجاز البياني - مقرر دراسي "دراسات عليا"

١١- صِيَانَةُ كَلَامِ الرَّحْمَنِ عَنْ مَطَاعِنِ أَهْلِ الزَّيْغِ والرَّوَغَانِ - مقرر دراسي "دراسات عليا"

١٢- موقف علماء الشيعة الإمامية من المصاحف العثمانية - مقرر دراسي "دراسات عليا"

١٣- الذَّهَبُ الإِبْرِيزُ فِي خَصَائِصِ الكِتَابِ العَزِيزِ

١٤- جَنَى الخُرْفَةِ في إبطال القول بالصَّرْفَة - مقرر دراسي "دراسات عليا"

١٥- آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي إِعْجَازِ القُرْآنِ فِي إِخْبَارِهِ عَنِ المُغَيَّبَاتِ (دِرَاسَةٌ تَحْلِيلِيَّةٌ مَوْضُوعِيَّةٌ)

١٦- التِّبْيَانُ فِي بَيَانِ وُجُوهِ الإِعْجَازِ التَّشْرِيعِيِّ فِي القُرْآنِ

١٧- إيجاز القول في الإعجاز

١٨- التحدي في القرآن

١٩- صَحِيحُ المَنْقُولِ المُوَافِقُ لِصَرِيحِ المَعْقُولِ فِي مُنَاقَشَةِ ثَلَاثَةِ تَفَاسِيرَ رُتِّبَتْ عَلَى تَرْتِيبِ النُّزُولِ.

٢٠- **البُرْهَانُ فِي حَقِيقَةِ حُبِ النَّبِيِّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ وَأَصْحَابِهِ لِلقُرْآنِ**

٢١- **إِتْحَافُ أَهْلِ الإِيمَانِ بِدِرَاسَةِ الجَمْعِ الصَّوْتِي لِلقُرْآنِ** "الجَمْعُ الرَّابِعُ لِلقُرْآنِ الكَرِيمِ"- تَارِيخٌ- وَأَحْدَاثٌ - وَقَائِعُ- وَأَحْكَامٌ - "دِرَاسَةٌ تَأْرِيخِيَّةٌ تَأْصِيلِيَّةٌ"

٢٢- **آفَاتٌ وَمُعَوِقَاتٌ فِي طَرِيقِ التَّسْجِيلِ الصَّوتِي لِلقُرآنِ**

٢٣- **بُلُوغُ المَرَامِ فِي قِصَّةِ ظُهُورِ أَوَلِ مُصْحَفٍ مُرَتَّلٍ فِي تَارِيخِ الإِسْلَامِ**

٢٤- **تَوْجِيهُ أَهْلِ الإِيمَانِ لِضَوَابِطِ تَسْجِيلِ القُرْآنِ**

٢٥- **الكَوَاشِفُ الجَلِّيَةُ فِي حُكْمِ قِرَاءَةِ القُرْآنِ بِالمَقَامَاتِ المُوسِيقِيَّةِ**

أو: فصل النزاع بين التغني بالقرآن وتلاوته بـ "مقامات الشيطان"

٢٦- **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**

٢٧- **التَّبصرة لمن أراد بتعليم القرآن وجه الدار الآخرة** (مطبوع ومنشور عن دار المأثور- بالمدينة النبوية-١٤٣٧هـ)

٢٨- **تَبْصِرَةُ أُولِي الأَلْبَابِ بِمَعَانِي فَاتِحَةِ الكِتَابِ** - مقرر دراسي "دراسات عليا"

٢٩- **كَشْفُ الوَقِيعَةِ فِي بُطْلَانِ دَعْوَى التَّقْرِيبِ بَيْنَ السُّنَّةِ وَالشِّيعَةِ**

٣٠- **التَّقِيَّةُ أَسَاسُ دِينِ الشِّيعَةِ الإِمَامِيَّةِ**

٣١- **قَطْعُ العَلَائِقِ لِلتَّفَكُرِ فِي عُبُودِيَّةِ الخَلَائِقِ**

٣٢- **الآداب النبوية والأحكام الشرعية في عيادة المريض وعبادته** (مطبوع ومنشور عن دار المأثور-بالمدينة النبوية-١٤٣٧هـ)

٣٣- (**التوحيد من الكتاب والسنة**) (مفهومه ومعناه-حقائقه وفضائله-دلائله ونواقضه)

٣٤- **دليل الطالع والنازل في بيان حقيقة أعلى المنازل.** (إياك نعبد وإياك نستعين)

٣٥- **ألطف اللطائف في بيان سبل الثلاث طوائف:** (المنعم عليهم- المغضوب عليهم - الضالين)

٣٦- **أوضح البيان في حقيقة نبوة لقمان**

وغيرها من البحوث - قيد التنسيق- .

مركز تأصيل علوم التنزيل
للبحوث العلمية والدراسات القرآنية